تاريخ القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الدكتور

محمد سالم محيسن

تخصص في القراءات وعلوم القرآن
عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف
دكتوراه في الآداب العربية

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت : ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)
المطابع: مدينة العبور - المجمع الصناعى - وحدة ٣٠٥

رقم الإيداع : ١٧١٤٠/ ٢٠٠٢

الترقيم الدولى : 977-6076-45-9

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذى نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. والصلاة والسلام على نبينا «محمد» الذى أيده الله ـ تعالى ـ بالقرآن، وتحدى به جميع الإنس والجان، فقال ـ عز من قائل ـ:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وبعد .. فإن المصنفين لتاريخ القرآن ـ جزاهم الله خيرًا ـ قد أسهموا بقدر فى الكتابة عن هذا التراث الجليل وفقًا لأهداف معينة لدى كل واحد منهم.

وقد رأيت أن أسهم بقدر ما أستطيع فى تجلية بعض جوانب هذه القضايا، استكمالاً لما قدمه السابقون.

فالمصنفات ما هى إلا حلقات متصلة يكمل بعضها بعضًا.

فقمت بإعداد هذا الكتاب وسأجعله إن شاء الله ـ تعالى ـ فى ثلاثة فصول:

الفصل الأول : عن تنزيل القرآن.

الفصل الثانى : عن تقسيمات القرآن.

الفصل الثالث : عن كتابة القرآن.

وختامًا أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصًا لذاته، وأن ينفع به المسلمين، وبخاصة المشتغلين بالدراسات القرآنية.

كما أسأله ـ عز وجل ـ أن يغفر لى الزلات، ويعفو عن الهفوات، فكل بنى آدم خطاء ولا عصمة إلا للأنبياء، إنه سميع الدعاء.

وصلِّ اللهم على نبينا «محمد» وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

المؤلف

أ.د / محمد محمد محمد سالم محيسن

غفر الله له ولوالديه وذريته والمسلمين

المدينة المنورة ربيع الآخر ١٤٠١هـ

تاريخ القرآن

وفيه ثلاثة فصول

وقبل الدخول فى الحديث عن فصول هذا الباب نريد أن نقف على أمرين مهمين وهما:

الأول : تعريف القرآن.

الثانى: أسماء القرآن.

أولا: تعريف القرآن الكريم

القرآن فى اللغة:

مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨ ـ ١٩]، أى: قراءته[1].

وفى الاصطلاح:

هو كلام الله ـ تعالى ـ المنزل على نبينا «محمد» ﷺ، المكتوب فى المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواترًا، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه[2].

فخرج بقولنا: المنزل على نبينا «محمد» ﷺ، عن سائر الكتب السماوية.

وبقولنا: المكتوب فى المصاحف، عن الأحاديث القدسية، والنبوية.

وبقولنا: المنقول إلينا نقلاً متواترًا إلخ عن القراءات الشاذة.

ثانيًا: أسماء القرآن الكريم

لقد اختص الله ـ تعالى ـ «القرآن الكريم» دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء.

وهذا إن دل على شىء فإنه يدل على شرفه وعلو منزلته.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط (٢/٧٢٢) ط. القاهرة.

(٢) انظر: إرشاد الفحول ص٢٩. ط. القاهرة.

ولقد أطنب بعض العلماء فى ذكر أسماء القرآن، وذلك بجعل الأوصاف الواردة فى القرآن أسماء له.

حتى أن بعضهم أوصلها إلى نيف وتسعين اسمًا[1]، ولكنى لن أذكر إلا الأسماء التى يدل عليها لفظ القرآن دلالة صريحة وهى:

١ ـ القرآن: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢ ـ الفرقان: قال ـ تعالى ـ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١].

٣ ـ الكتاب: قال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢].

٤ ـ الذكر: قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩].

٥ ـ الوحى: قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

٦ ـ الروح: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

* * *

(١) انظر: البرهان للزركشى (٢٧٢/١)، ولطائف الإرشادات للقسطلانى (١٨/١، ١٩)، ومع القرآن الكريم للدكتور شعبان محمد إسماعيل ص١٧.

الفصل الأول

تنزيل القرآن الكريم

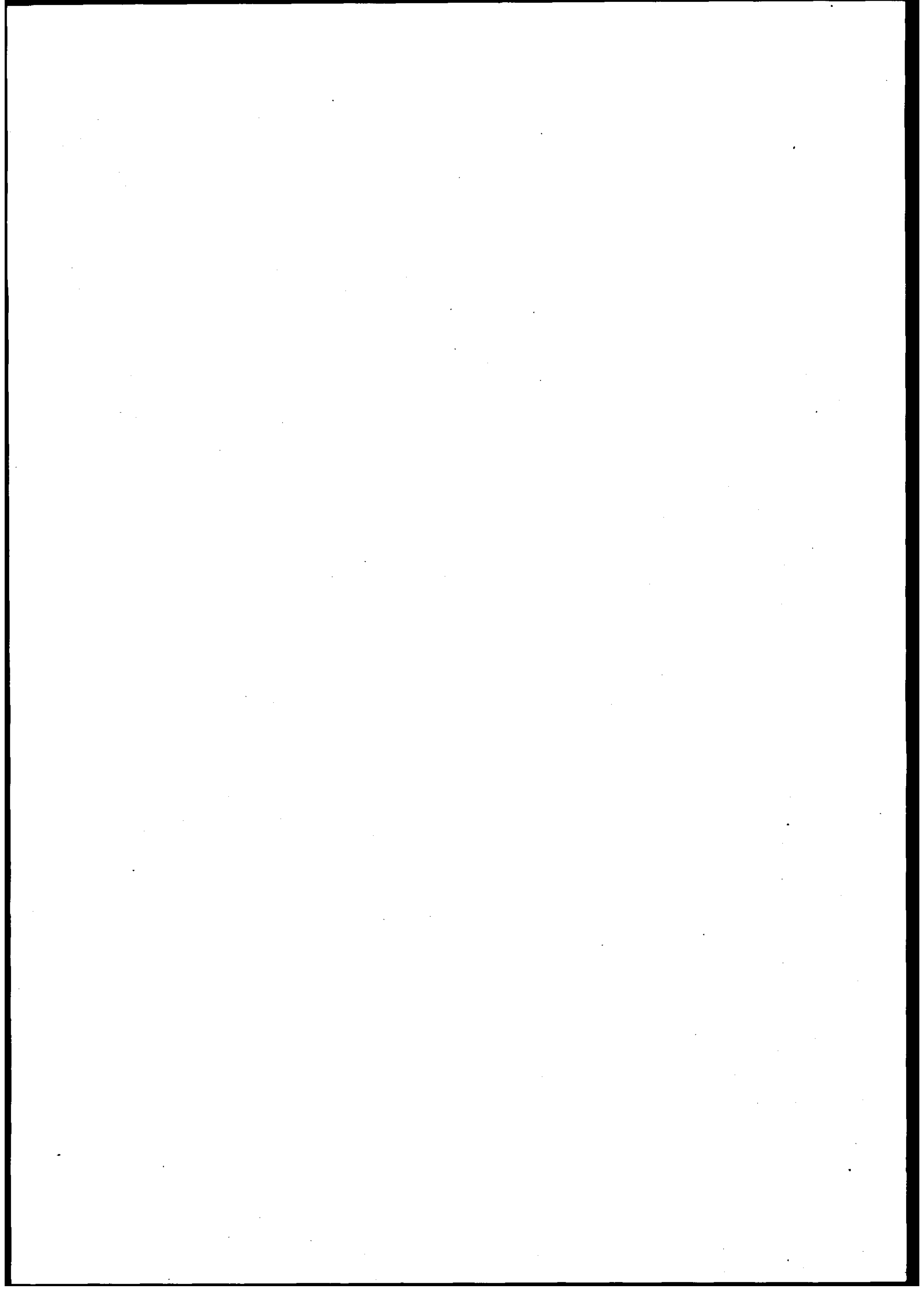
(أ) تنزيل القرآن.

(ب) الحكمة من نزول القرآن منجمًا.

(جـ) بيان أول ما نزل منه.

(د) بيان آخر ما نزل منه.

(هـ) فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن.



القضية الأولى

تنزيل القرآن الكريم

من يمعن النظر فى الآيات القرآنية يمكنه أن يستنبط من ذلك أن تنزيل القرآن مر بمرحلتين:

• **المرحلة الأولى**: نزوله دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من سماء الدنيا.

قال الله - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

هاتان الآيتان تفيدان أن القرآن كان موجودًا فى اللوح المحفوظ، وفقًا لكيفية مخصوصة لا يعلمها إلا الله - تعالى -. وليس لنا أن نسأل عن تلك الكيفية، ولا عن مبدأ وجودها. فما علينا إلا أن نؤمن بذلك ونصدقه، وهذا من جملة الإيمان بالغيب الذى لا يؤمن به إلا المتقون.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، ثم قال الله - تعالى - للقلم قبل أن يخلق الخلق: اكتب علمى فى خلقى، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة. اهـ[1].

وكان هذا التنزيل فى شهر رمضان - ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة.

قال الله - تعالى -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾ [القدر: ١].

وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

فهذه الآيات الثلاث مجتمعة تفيد أن القرآن أنزل دفعة واحدة فى شهر رمضان، فى ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة.

---

(١) انظر: تفسير الشوكانى (٤١٧/٥) ط. القاهرة.

وهذا القول هو أصح الأقوال وأشهرها[1].

فقد أخرج الحاكم والبيهقى وغيرهما عن سعيد بن جبير (ت ٥٩ هـ)، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه فى إثر بعض[2].

وأخرج الحاكم والبيهقى أيضًا، والنسائى عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن فى ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، ثم قرأ:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ﴾ [الفرقان: ٣٣].
﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وأخرج الحاكم، وابن أبى شيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل «جبريل» ينزل به على النبى ﷺ[3].

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال: أنزل القرآن فى ليلة القدر فى شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجومًا[4].

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس أيضًا أنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا، ونزله «جبريل» على «محمد» ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم[5].

فهذه الأحاديث كلها صحيحة كما ذكر السيوطى (ت ٩١١هـ) وهى موقوفة على ابن عباس غير أن لها حكم الأحاديث المرفوعة، ويصح الاحتجاج بها. وقيل: إن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) ﴾ الآية.

(١ ـ ٢) انظر: الإتقان (١/١١٦).
(٣ ـ ٤) انظر: الإتقان (١/١١٧).
(٥) انظر: الإتقان (١/١١٨).

أنه ابتدى إنزال القرآن على النبى ﷺ فى ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة، وذلك فى شهر رمضان، ثم نزل بعد ذلك منجمًا، وبه قال الشعبى[1].

قال ابن حجر فى شرح البخارى: والأول هو الصحيح المعتمد[2].

• **المرحلة الثانية:** نزوله منجمًا على النبى ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة خلال مدة بعثته ﷺ، موزعًا على الحوادث. والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

فهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن القرآن لم ينزل على النبى ﷺ دفعة واحدة، وإنما نزل منجمًا حسب الوقائع والأحداث.

❋ ❋ ❋

(١ ـ ٢) انظر: الإتقان (١/١١٨).

القضية الثانية

الحكمة من نزول القرآن منجماً

بعد أن بينت أن القرآن نزل على النبى ﷺ مفرقًا خلال مدة بعثته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخالنى أجد سؤالا يفرض نفسه وهو:

فإن قيل: ما هى الحكمة من نزول القرآن منجمًا؟

أقول: هذا السؤال قد تولى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الجواب عنه وأشار إليه بقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وبقوله: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) ﴾ [الإسراء: ١٠٦]

فهاتان الآيتان ترشدان إلى الحكمة من نزول القرآن مفرقًا. وإليك بعض الحكم والأسرار من ذلك:

الحكمة الأولى:

تثبيت فؤاد النبى ﷺ، وتقوية قلبه، كما أشار إليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾.

وذلك من وجوه خمسة:

الوجه الأول:

إن فى تجدد الوحى وتكرار نزول الملك به من جانب الله ـ تعالى ـ إلى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، سرورًا يملأ قلب الرسول، وغبطة تشرح صدره.

وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية، وتعهد مولاه إياها فى كل نوبة من نوبات هذا النزول.

الوجه الثانى:

إن فى التنجيم تيسيرًا من الله - تعالى - فى حفظ القرآن وفهمه، ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مطمئن للنبى ﷺ.

كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله.

الوجه الثالث:

إن فى كل مرة من مرات هذا النزول المنجم معجزة جديدة له ﷺ.

حيث كان - عليه الصلاة والسلام - يتحدى المعاندين والمعارضين كل مرة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فظهر عجزهم عن المعارضة، وثبت صدقه - عليه الصلاة والسلام -، وهذا بلا ريب فيه تثبيت لقلب النبى ﷺ.

الوجه الرابع:

إن فى تأييد النبى - عليه الصلاة والسلام -، ودحض باطل أعدائه، المرة بعد الأخرى، تكرارًا لتثبيت فؤاد النبى ﷺ.

الوجه الخامس:

تعهد الله نبيه عند اشتداد الخصومة بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد، ولا ريب أن تلك الشدائد كانت تحدث فى أوقات متعددة.

فلا جرم أن التسلية كانت تحدث هى الأخرى فى مرات متكافئة. فكلما أحرجه خصمه، سلاه ربه.

وتجىء تلك التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين السابقين كما قال - تعالى -: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وتارة تكون التسلية عن طريق وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ، كما فى قوله - تعالى -: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨].

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وتارة تكون التسلية عن طريق إنذار أعدائه كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) ﴾ [القمر: ٤٥].

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾ [فصلت: ١٣].

وتارة ترد التسلية فى صورة الأمر بالصبر، كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وتارة تكون فى صورة النهى عن التفجيع والحزن على عدم إيمانهم، كما فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [فاطر: ٨].

وقوله: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) ﴾ [النحل: ١٢٧].

ومنها: أن يؤيسه ﷺ من إيمانهم ليستريح ويتسلى عنهم.

كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾ [الأنعام: ٣٥][1].

الحكمة الثانية:

التدرج فى تربية الأمة الإسلامية التى لا زالت ناشئة، ويندرج تحت ذلك الأمور السبعة التالية:

---

(١) انظر فى هذا المراجع الآتية: المرشد الوجيز (٢٧، ٢)، الإتقان (١/١٢١)، مناهل العرفان (١/٣٩، ٤)، من علوم القرآن (٣٢ ـ ٣٤)، مع القرآن الكريم (٦٦ ـ ٦٩).

الأمر الأول:

تيسير حفظ القرآن لأن ظروفهم كانت لا تمكنهم من ذلك لو نزل عليهم جملة واحدة.

الأمر الثانى:

التدرج بالأمة فى فهم القرآن، ونزوله منجمًا يسهل عليهم ذلك حيث يتمكنوا من استيعابه.

الأمر الثالث:

التدرج بهم فى تكليفهم بالواجبات من الصلاة - والصيام - والجهاد - وغير ذلك من سائر أنواع العبادات والمعاملات.

الأمر الرابع:

التدرج بهم فى تطهيرهم من العقائد الباطلة مثل الشرك بالله - تعالى - وجحود البعث، وإنكار أن يكون لله رسول من البشر.

الأمر الخامس:

التدرج بهم فى تطهيرهم من العادات القبيحة التى توارثوها، ودرجوا عليها وتأصلت فى نفوسهم، حيث كان من المتعذر عليهم تركها مرة واحدة.

وذلك مثل: شرب الخمر، وأكل الربا، ونحو ذلك.

الأمر السادس:

التدرج بهم فى تكميلهم بالعادات الحميدة، والفضائل الكريمة.

مثل: الصفح - والحلم، والإيثار - ورعاية الجوار، إلى غير ذلك[1].

ولهذا نجد القرآن قد بدأ بفطامهم عن الشرك والإباحة، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء، من جراء ما فتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد، وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء.

(١) انظر: المرشد الوجيز ص٢٩، ومن علوم القرآن ص ٣٢، ومع القرآن ص ٦٩، وتاريخ المصحف ص ٣٥ - ٤٠.

ثم نجد القرآن قد انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات، فبدأهم بفريضة الصلاة قبل الهجرة النبوية.

ثم ثنى بالزكاة والصوم فى السنة الثانية من الهجرة.

وختم بالحج فى السنة السادسة منها.

وكذلك كان شأنه فى سائر العبادات:

- نجده قد زجرهم عن الكبائر، وشدد عليهم النكير فيها.
- ثم نهاهم عن الصغائر فى شىء من الرفق.
- ثم تدرج بهم فى تحريم ما كان متأصلاً فيهم، مثل شرب الخمر تدرجًا حقق الغاية، وأنقذهم من شرها فى النهاية.

وكان القرآن فى انتهاج هذا التدرج أهدى سبيلا وأنجح تشريعًا.

الأمر السابع:

تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والتأييد والتمكين.

كما فى قوله - تعالى -:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾ [النور: ٥٥].

الحكمة الثالثة:

مسايرة الحوادث والطوارئ فى تجددها وتفرقها، فكلما جد جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه.

وتنتظم هذه الحكمة أمورًا خمسة وهى:

● **أولاها:** إجابة السائلين عن أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول ﷺ:

سواء أكانت تلك الأسئلة لغرض التثبت من رسالته، كما قال الله ـ تعالى ـ فى جواب سؤال أعدائه إياه:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾ [الكهف: ٨٣].

إلى آخر الآيات فى هذا الموضوع من سورة الكهف.

أم كانت الأسئلة لغرض التنور ومعرفة حكم جديد من أحكام الإسلام. كما فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

ومما لا شك فيه أن تلك الأسئلة كانت توجه إلى النبى ﷺ فى أوقات مختلفة فهذا سبب واضح من أسباب تفريق النزول.

● **ثانيها:** مجاراة الأقضية والوقائع فى حينها ببيان حكم الله ـ تعالى ـ فيها عند حدوثها ووقوعها.

ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة واحدة، بل وقعت فى أوقات متغايرة ومتعددة.

فلا مناص إذن من فصل الله ـ تعالى ـ فيها بنزول القرآن الكريم.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة فمنها:

١ ـ حادثة مرثد الغنوى الذى أرسله النبى ﷺ إلى مكة ليخرج منها قومًا مسلمين مستضعفين، فلما وصل إليهم عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكانت ذات مال وجمال فأعرض عنها خوفًا من الله ـ تعالى ـ.

ثم أقبلت عليه تريد زواجه منها فقبل، ووقف زواجه منها على إذن رسول الله ﷺ، فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله ﷺ وطلب إجازة ذلك النكاح، فنزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٢ ـ حادثة الوليد بن عقبة أخى عثمان بن عفان لأمه حين بعثه النبى ﷺ إلى بنى المصطلق ليأخذ صدقاتهم وكان بينه وبينهم إحن وعداوات، فلما سمعوا به استقبلوه، فحسب أنهم مقاتلوه فرجع إلى المدينة وقال للرسول ﷺ: إنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة، فهم الرسول بقتالهم، فنزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات: ٦].

٣ ـ ومنها: حادثة خولة بنت ثعلبة التى ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت.

ثم ندم على ما فعل وقال: ما أظنك إلا قد حرمت على، فشق ذلك عليها فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه وقالت: يا رسول الله إن لى منه صبية صغارًا، إن ضممتهم إلىَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا. فقال ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه». فاستقبلت السماء تشكو إلى الله ـ تعالى ـ. فنزل قوله:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾ [المجادلة: ١].

٤ - حادثة الإفك: وفيها اتهام المثل الأعلى للطهر والنزاهة أم المؤمنين «عائشة الصديقة» وفيها نزلت الآيات من قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾ [النور: ١١ - ٢٦].

٥ - ومنها: حادثة عويمر العجلانى وامرأته، وحادثة هلال بن أمية وامرأته. اللتان كانتا سببًا فى نزول آيات اللعان، وهى قوله - تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) ﴾ إلى آخر الآيات [النور: ٦ - ١٠].

٦ - ومنها: حادثة فتنة اليهود التى أثاروها عندما حولت القبلة من جهة بيت المقدس، إلى جهة المسجد الحرام.

وكان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بسبعة عشر شهرًا تقريبًا، فنزلت الآيات من قوله - تعالى -:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢]. إلى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) ﴾ [البقرة: ١٥٠].

• **ثالثها**: الشبه التى كانت تختلج فى صدور المشركين، ومن أمثلتها والرد عليها: ما حكاه الله عنهم فى قوله - تعالى -:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) ﴾ [الفرقان: ٤ - ٥] إلى قوله: ﴿ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) ﴾ [الفرقان: ٩].

• **رابعها**: لفت أنظار المسلمين إلى أغلاطهم، وردهم إلى الصواب.

وذلك نحو الآيات المتعلقة بغزوة أحد فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. إلى آخر الآيات [آل عمران: ١٦٠].

ونحو الآيات المتعلقة بغزوة حنين فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾ [التوبة: ٢٥]. إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) ﴾ [التوبة: ٢٧].

وهذه الآيات تنعى على المسلمين ثقتهم بأنفسهم، واعتزازهم بقوتهم، وتذكرهم بنعم الله عليهم، بإنزال الطمأنينة، والأمن فى قلوبهم، وإنزال الملائكة لنصرتهم ثم تهيب بهم أن يثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا لربهم.

ومن ذلك: موقف المسلمين إزاء أسرى بدر وقبولهم الفداء وإطلاق سراحهم.

ثم عتاب الله لهم على هذا التصرف، وإرشادهم إلى المحجة، وذلك فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧]. إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٩) ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وهذه الآيات تؤنبهم على إيثار الدنيا على الآخرة، وترشدهم إلى ما كان يجب أن يعمل.

• **خامسها:** كشف حال المنافقين، وهتك أسرارهم للنبى ﷺ والمسلمين.

وسورة التوبة مفعمة بالآيات الشديدة اللهجة فى التشنيع على المنافقين، والتشهير بهم، وسرد مثالبهم، وتعداد قبائحهم.

وفى القرآن الكريم ـ غير ما فى سورة التوبة ـ كثير من الآيات التى فضح الله فيها سرائر المنافقين، وأطلع المسلمين على دسائسهم، وإفسادهم، ليكونوا دائمًا على حذر منهم فيأمنوا شرهم، لأنهم أخطر على الإسلام من الكفار المجاهرين.

اقرأ إن شئت قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ [النساء: ١٤١]، إلى آخر الآيات [النساء: ١٤٣].

واقرأ أيضًا سورة المنافقون، واقرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) ﴾ [البقرة: ٨]، إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ [البقرة: ٢٠].

تجد ثلاث عشرة آية فضحت المنافقين.

وهذه الحكمة الثالثة بمضامينها الخمسة قد أشارت إليها هذه الآية الكريمة:

﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ﴾ [الفرقان: ٣٣][1].

* * *

(١) انظر فى هذا: تاريخ المصحف ص ٣٠ ـ ٣٢، ومع القرآن الكريم ص ٧٢ ـ ٧٤، وغيرهما من المصنفات التى تحدثت عن علوم القرآن مثل: من علوم القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضى، ومع القرآن الكريم للدكتور شعبان محمد إسماعيل، وتاريخ القرآن للزنجانى، ومناهل العرفان للزرقانى.

القضية الثالثة

بيان أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق

إن الكلام على هذه القضية لا مجال للعقل فيه لأنه مبنى على التوقيف، اللهم إلا بالترجيح بين الأدلة، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها. وبالرجوع إلى المصادر[1].

وجدت العديد من الآراء فى بيان ما نزل من القرآن على الإطلاق ونظرًا لأن معظم هذه الآراء تعتبر مردودة وغير مقبولة لضعفها حيث ينقصها التأييد بالأدلة الصحيحة فإننى لن أتعرض لتلك الآراء الضعيفة حيث لا فائدة منها سوى الإطناب غير المفيد.

وسأكتفى بذكر ما صح من تلك الأقوال وهما قولان:

القول الأول:

إن أول ما نزل من القرآن مطلقًا: صدر سورة العلق وهو قوله ـ تعالى ـ:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

وهذا القول يعتبر أصح الأقوال بإجماع جميع الكتاب.

وذلك لأنه مؤيد بالعديد من الأحاديث، أذكر منها ما يلى:

١ - روى البخارى ومسلم[2]، عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨ هـ ـ رضى الله عنها) أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث[3] فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ: قلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذنى فغطنى[4] حتى بلغ منى الجَهد[5]. ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذنى فغطنى الثانية

(١) مثل البرهان للزركشى (ت ٧٩٤ هـ)، والإتقان للسيوطى (ت ٩١١هـ).

(٢) واللفظ للبخارى.

(٣) التحنث: المراد به التعبد.

(٤) فغطنى: بفتح الغين وتشديد الطاء المفتوحة، أى: ضمنى ضما شديدا حتى كان لى غطيط وهو صوت من حبست أنفاسه بما يشبه الخنق.

(٥) الجهد: بفتح الجيم، أى: المشقة.

حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ، قلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

فرجع بها إلى خديجة يرجف فؤداه... الحديث.

٢ - وصحح الحاكم فى مستدركه، والبيهقى فى دلائله عن «عائشة» أيضًا - رضى الله عنها - قالت: أول سورة نزلت من القرآن: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾[(١)].

٣ - وصحح الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى رجاء العطاردى (ت ١٠٥هـ) قال: كان أبو موسى الأشعرى (ت ٤٤هـ)[(٢)] يقرئنا فيجلسنا حلقًا وعليه ثوبان أبيضان فإذا تلا هذه السورة: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾، قال: هذه أول سورة نزلت على «محمد» ﷺ[(٣)].

القول الثانى:

إن أول ما نزل من القرآن إطلاقًا: صدر سورة المدثر.

ودليل هذا القول، ما رواه البخارى ومسلم، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٠٤هـ)[(٤)] أنه قال: سألت جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ): أى القرآن أنزل قبل؟ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾، فقلت: أو ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾؟.

وفى رواية: نبئت أنه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾. فقال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «إنى جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى».

زاد فى رواية: «فنوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى، ثم نظرت إلى السماء فإذا «جبريل» جالس على عرش بين السماء والأرض، فأخذتنى

---

(١) ومراد «عائشة» بالسورة صدرها لأن باقيها نزل فيما بعد.

(٢) هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليمانى، من خيرة الصحابة ومن شجعانهم الفاتحين، أحد الحكمين اللذين كانا بين علىّ ومعاوية بعد حرب صفين، وكان من أطيب الصحابة صوتًا بالقرآن (ت ٤٤هـ) على خلاف، انظر: الطبقات الكبرى (٤/١٥٠)، وصفوة الصفوة (١/٢٢٥)، والإصابة (٢/٣٥٩).

(٣) وأبو موسى يعنى صدر السورة، انظر: الإتقان (١/٦٨)، ومن علوم القرآن ص١٩، ومع القرآن الكريم ص٨٣.

(٤) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، من التابعين كثير الحديث، قيل اسمه: عبد الله، وقيل: إسماعيل (ت ١٠٤هـ)، انظر: تهذيب التهذيب (١٢/١١٥).

رجفة فأتيت «خديجة» فأمرتهم فدثرونى، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ②﴾ إلى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾»[1].

ومن يمعن النظر فى هذا الحديث يجده يتعارض مع حديث أم المؤمنين «عائشة» السابق، والدال على أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة اقرأ.

وقد يمكن الجمع بين الحديثين فيقال: بأن أول ما نزل على الإطلاق هو قوله ـ تعالى ـ: ﴿اقْرَأْ﴾ الآية.

وأن أول ما نزل بعد فترة الوحى هو قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ الآية.

ويؤيد هذا التأويل ويقويه ما رواه الشيخان من طريق الزهرى (ت ١٢٤هـ)[2]، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن (ت ١٠٤هـ)[3]، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ)[4] قال: وسمعت النبى ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه:

«فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا»[5].

فرجعت إلى أهلى فقلت: «دثرونى دثرونى»، فدثرونى، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ إلى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ قبل أن تفرض الصلاة[6].

تعقيب واستنتاج:

مما تقدم يمكننى أن أقرر وأنا مطمئن أن أول ما نزل على الإطلاق قوله ـ تعالى ـ: ﴿اقْرَأْ﴾ الآيات. وأن أول ما نزل بعد فترة الوحى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ الآيات.

إذًا فصدر سورة المدثر يعتبر أولية مقيدة لا مطلقة.

* * *

(١) انظر: الإتقان (٦٩/١)، ومن علوم القرآن ١٩، ومع القرآن الكريم (١٨٣ ـ ١٨٤).
(٢) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله (ت ١٢٤هـ).
(٣) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٠٤هـ).
(٤) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ).
(٥) فجئثت منه، أى: سقطت منه.
(٦) انظر: الإتقان (٦٩/١ ـ ٧٠)، ومن علوم القرآن ٢٠، ومع القرآن الكريم ١٨٤.

القضية الرابعة

بيان آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق

بعد البحث والرجوع إلى المصادر وجدت الكتاب نقلوا فى ذلك أحد عشر قولاً، واستدلوا على كل قول بأثر أو أكثر.

ولكن المتفحص لهذه الآثار لن يجد فيها حديثًا واحدًا مرفوعًا للنبى ﷺ، مما يوقع الإنسان فى حيرة واضطراب.

إلا أن القاضى أبا بكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ)[١] أراد أن يهون من هول هذه المسألة فقال: هذه الأقوال ليس فيها شىء مرفوع إلى النبى ﷺ، وكل ما قالوه ضرب من الاجتهاد وغلبة الظن.

ثم يمضى فيقول: ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر بما سمعه من النبى ﷺ فى اليوم الذى مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو.

ثم يقول: ويحتمل أيضًا أن تنزل الآية التى هى آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيأمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن - بالبناء للمجهول - أنه آخر ما نزل فى الترتيب.. اهـ[٢].

وبعد إعمال الفكر فى هذه الأقوال مجتمعة وجدتها تنقسم إلى قسمين:

- **الأول:** أقوال تتحدث عن آخر الآيات نزولا وجملتها ثمانية أقوال.
- **الثانى:** أقوال تتحدث عن آخر السور نزولاً وجملتها ثلاثة أقوال[٣]:

---

(١) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلانى من كبار علماء الكلام، كان موصوفًا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب، له عدة مؤلفات (ت ٤٠٣هـ)، انظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥)، ووفيات الأعيان (٦٠٩/١).

(٢) انظر: الإتقان (٨٠/١)، ومع القرآن ١٩١.

(٣) الأول: أنها سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وهو مروى عن كل من ابن عباس، وابن عمر.
والثانى: أنها سورة المائدة، وهو مروى عن ابن عمر، و «عائشة».
والثالث: أنها سورة براءة، وهو مروى عن عثمان بن عفان.

وما دام الحديث مقصورًا على آخر الآيات نزولاً، فينبغى على كل باحث أو كاتب ألا يخلط بين هذين القسمين، لأن ذلك يعتبر ضربًا من عدم الدقة والتحرى[1].

لذلك فإن حديثى هنا سيكون مقصورًا على الأقوال الثمانية الواردة فى آخر الآيات نزولاً.

وبعد إعمال الفكر فى هذه الأقوال الثمانية وجدتها تنقسم إلى قسمين أيضًا:

- **الأول**: أقوال رويت عن أكثر من صحابى وجملتها ثلاثة أقوال.
- **والثانى**: أقوال انفرد بروايتها صحابى واحد وجملتها خمسة أقوال.

وقبل الدخول فى تفاصيل هذه الأقوال الثمانية، نريد أن نتعرف على الصحابة - رضى الله عنهم - الذين نقلت عنهم هذه الآراء، وجملتهم ستة. وسأذكرهم مرتبين حسب تاريخ وفياتهم:

الأول: عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -، أبو حفص القرشى، الصحابى الجليل وثانى الخلفاء الراشدين، قتل شهيدًا سنة ٢٣هـ[2].

الثانى: أُبَى بن كعب بن قيس بن عبيد الله، أبو المنذر المدنى، الأنصارى، من خيرة الصحابة، ومن كتاب الوحى للنبى ﷺ (ت ٣٠هـ)[3].

الثالثة: «أم سلمة» - رضى الله عنها - أم المؤمنين. وهى: هند بنت أبى أمية ابن المغيرة، القرشية المخزومية (ت ٥٩ هـ) على خلاف[4].

الرابع: معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، من كتاب الوحى للنبى ﷺ، ومؤسس الدولة الأموية (ت ٦٠هـ)[5].

---

(١) انظر: الإتقان (١/٧٧ - ٨١).
(٢) انظر: تاريخ الخلفاء ٤٠، والطبقات الكبرى (٣/٢٦٥)، والإصابة (٢/٥١٨)، وغاية النهاية (١/٤٣٧).
(٣) انظر: صفوة الصفوة (١/١٨٨)، والإصابة (١/٧٩)، وغاية النهاية (١/٣١)، وتهذيب التهذيب (١/٨٧).
(٤) انظر: الإصابة (٤/٤٥٨)، والطبقات الكبرى (٨/٨٦).
(٥) انظر: الإصابة (٢/٤٣٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/٢٠٧)، وتاريخ الخلفاء ٧٥.

الخامس: البراء بن عازب بن الحارث، أبو عمارة الأوسى، الصحابى الجليل شهد خمس عشرة غزوة توفى بالكوفة (٦٢هـ)[١].

السادس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس، من خيرة الصحابة ومن المحَدثين (ت ٦٨هـ)[٢].

بعد ذلك ننتقل لتفصيل الكلام عن الأقوال الثمانية. وسأبدأ بأصح الأقوال وأرجحها، ثم أتمم الكلام عن الآراء التى نقلت عن أكثر من صحابى، لأنها تعتبر أرجح من التى انفرد بروايتها واحد.

وبهذا يكون البحث متمشيًا مع المنهج العلمى الصحيح.

القول الأول:

إن آخر آية نزلت على الإطلاق، قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وهذا القول مروى عن: عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

وإليك بعض الآثار التى تثبت ذلك:

١ ـ أخرج النسائى (ت ٣٠٣هـ) من طريق عكرمة بن سليمان (ت ١٩٨هـ) عن ابن عباس قال: آخر شىء نزل من القرآن: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية[٣].

٢ ـ أخرج ابن مردويه (ت ٤١٠هـ)[٤]، من طريق سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)[٥] عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية[٦].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٣٦٤/٤)، وتهذيب التهذيب (٤٢٥/١).

(٢) انظر: الإصابة (٣٣٠/٢)، وتهذيب التهذيب (٢٧٦/٥).

(٣) انظر: الإتقان (٧٧/١)، ومن علوم القرآن ٢١، ومع القرآن ١٨٧.

(٤) هو: أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانى، صاحب التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخارى (ت ٤١٠هـ).

(٥) هو: سعيد بن جبير بن هشام، أبو عبد الله الكوفى من خيرة التابعين، انظر: الطبقات الكبرى (٢٥٦/٦)، ووفيات الأعيان (٢٥٦/١).

(٦) انظر: الإتقان (٧٧/١).

٣ ـ وأخرج ابن جرير (ت ٣١٠هـ)[١] من طريق الضحاك (ت ١٠٥هـ)[٢] عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا . . .﴾ الآية[٣].

٤ ـ وأخرج ابن أبى حاتم[٤] من طريق سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ) قال: آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية.

وعاش النبى ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال، ثم مات ليلة الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.. اهـ[٥].

القول الثانى:

إن آخر ما نزل آية الربا، وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾

[البقرة: ٢٧٨]

وقد نقل هذا القول عن كل من: عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه)، عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

وإليك بعض الآثار التى تثبت ذلك:

١ ـ أخرج البخارى (ت ٢٥٦هـ)[٦]. عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت آية الربا[٧].

---

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، كان إمامًا فى كثير من العلوم منها: التفسير ـ والقراءات ـ والحديث ـ والفقه ـ والتاريخ، وغير ذلك له عدة مؤلفات (ت ٣١٠هـ)، انظر: معجم الأدباء (٤٢٤/٦)، وطبقات المفسرين ٣٠.

(٢) هو: الضحاك بن مزاحم أبو القاسم من التابعين (ت ١٠٥هـ)، انظر: الإتقان (٧٧/١).

(٣) انظر: الإتقان (٧٨/١).

(٤) لم اتمكن من الوقوف لابن أبى حاتم هذا على ترجمة حيث لم تذكر المصنفات اسمه صراحة. وبالرجوع إلى أبى حاتم وجدتهم ثلاثة: ١ ـ أبو حاتم البستى. ٢ ـ أبو حاتم الرازى. ٣ ـ أبو حاتم السجستانى.
ولم أدر هو ابن من فى هؤلاء الثلاثة.

(٥) انظر: الإتقان (٧٨/١)، ومن علوم القرآن ٢١.

(٦) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله البخارى الحافظ، صاحب الجامع الصحيح والتصانيف (ت ٢٥٦هـ)، انظر: تذكرة الحفاظ (١٢٢/٢)، وطبقات السبكى (٢/٢).

(٧) انظر: الإتقان (٧٧/١).

٢ - روى البيهقى (ت ٤٥٨هـ)[١] عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: آخر آية نزلت آية الربا[٢].

القول الثالث:

إن آخر ما نزل قول الله - تعالى -:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩].

وقد نقل هذا القول عن كل من: أُبَى بن كعب (ت ٣٠هـ - رضى الله عنه)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما).

وإليك بعض الآثار التى تثبت ذلك:

١ - أخرج ابن مردويه (ت ٤١٠هـ)[٣] عن أبى قال: آخر القرآن عهدًا بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية[٤].

٢ - وفى المستدرك عن أُبَى بن كعب قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة.. اهـ[٥].

٣ - وأخرج أبو الشيخ فى تفسيره من طريق على بن زيد (ت ١٢٩هـ)[٦] عن ابن عباس (ت ٦٨هـ) قال: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩] الآية[٧].

---

(١) هو: أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر البيهقى من أئمة الحديث له عدة مصنفات (ت ٤٥٨هـ)، انظر: شذرات الذهب (٣/٣٠٤)، وفيات الأعيان (١/٢٤).

(٢) انظر: الإتقان (١/٧٧).

(٣) تقدمت ترجمته بالهامش.

(٤) انظر: الإتقان (١/٧٩)، ومع القرآن ١٩٠.

(٥) انظر: الإتقان (١/٧٨).

(٦) هو: على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة، زهير بن جدعان البصرى، كان فقيهًا ضريرًا، وليس بالثقة القوى، (ت ١٢٩هـ)، انظر: تهذيب التهذيب (٧/٢٢٢).

(٧) انظر: الإتقان (١/٧٩).

القول الرابع:

إن آخر آية نزلت قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم ﴾ [آل عمران: ١٩٥] إلى آخرها.

وهذا القول مروى عن «أم سلمة» (ت ٥٩ هـ ـ رضى الله عنها)، فقد أخرج ابن مردويه (ت ٤١٠هـ) من طريق مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)[١] عن «أم سلمة» قالت: آخر آية نزلت هذه الآية:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم ﴾ إلى آخرها[٢].

القول الخامس:

إن آخر ما نزل قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ إلى آخرها [النساء: ٩٣].

وهذا القول مروى عن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، فقد أخرج البخارى (ت ٢٥٦هـ) عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية:
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ . هى آخر ما نزل، وما نسخها شىء[٣].

القول السادس:

إن آخر ما نزل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦]

وهذا القول مروى عن: البراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ)، فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ إلى آخرها[٤].

---

(١) هو: مجاهد بن جبر المخزومى، من كبار التابعين والمفسرين، انظر: صفوة الصفوة (١١٧/٢)، ومعجم الأدباء (٢٤٢/٦)، وتهذيب التهذيب (٤٢/١٠)، وغاية النهاية (٤١/٢).

(٢) انظر: الإتقان (٨٠/١)، ومع القرآن ١٨٨.

(٣) انظر: الإتقان (٨٠/١)، ومع القرآن ١٨٩.

(٤) انظر: الإتقان (٧٧/١)، ومع القرآن ١٨٩.

القول السابع:

إن آخر آية نزلت قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهذه آية الدَّين. وقد نقل هذا القول عن: سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ)[١].

فقد أخرج ابن جريج (ت ١٥٠هـ)[٢] من طريق ابن شهاب (ت ١٢٤هـ)[٣] عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدًا بالعرض آية الدَّين[٤].

القول الثامن:

إن آخر ما نزل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا القول مروى عن: معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ).

قال السيوطى (ت ٩١١هـ): ومن غريب ما ورد فى ذلك ما أخرجه ابن جرير (ت ٣١٠هـ) عن معاوية بن أبى سفيان، أنه تلا هذه الآية ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ الآية. وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن.

قال ابن كثير: هذا أثر مشكل، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها، ولا تغير حكمها، بل هى مثبتة محكمة[٥].

---

(١) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب القرشى، من التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة (ت ٩٤هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٣٥٨/١)، وتهذيب التهذيب (٤٨/٤).

(٢) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومى، كان إمام أهل الحجاز فى عصره وهو أول من صنف الكتب فى العلم بمكة (ت ١٥٠هـ)، انظر: تاريخ بغداد (٤٠٠/١٠)، وتذكرة الحفاظ (١٦٠/١).

(٣) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أبو بكر الزهرى أول من دون الحديث وأحد الفقهاء الأعلام بالمدينة المنورة، ومن خيرة التابعين (ت ١٢٤هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٥٧١/١)، وتذكرة الحفاظ (١٠٢/١)، وتهذيب التهذيب (٤٤٥/٩)، وغاية النهاية (٢٦٢/٦).

(٤) انظر: الإتقان (٧٨/١)، ومع القرآن ١٨٧.

(٥) انظر: الإتقان (٨٠/١)، ومع القرآن ١٩٠.

تعقيب وترجيح:

بعد أن ذكرت هذه الأقوال الثمانية الواردة فى بيان آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، أخال سائلاً يسأل ويقول: أى هذه الأقوال أرجح؟

وأقول : إنى أرى أن أرجح هذه الأقوال هو القول الأول المروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، وذلك لأن النبى ﷺ عاش بعد نزول هذه الآية:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة: ٢٨١]

تسع ليال فقط ثم نقل إلى الرفيق الأعلى، حسبما جاء فى الأثر الذى أخرجه ابن أبى حاتم.

علمًا بأنه لم يحظ أى قول من بقية الأقوال بمثل هذا النص. والله أعلم.

* * *

القضية الخامسة

فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن

بينت أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه، ثم نزول القرآن على النبى ﷺ فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهذا ما أطلق عليه: المكى، والمدنى.

وهذا ما سنتعرض لبيانه فى الفصل التالى - إن شاء الله تعالى -، إلا أننى أخالنى أجد سؤالا يفرض نفسه وهو:

ما فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن؟

وأجيب على ذلك بما أتى:

إن لذلك فوائد جليلة ومتنوعة. ولكن أبرز هذه الفوائد ما يلى:

الأول: معرفة الناسخ والمنسوخ فيما إذا وردت آيتان فى موضوع واحد وكان الحكم فى إحدى هاتين الآيتين يغاير الحكم فى الأخرى تغايرًا لا يمكن معه الجمع.

عندئذ نعرف أن المتأخر منهما ناسخ للمتقدم، فنعمل بالمتأخر ونترك العمل بالمتقدم. مثال ذلك:

١ - قول الله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾

[المجادلة: ١٢]

وتضمنت هذه الآية حكمًا شرعيًا وهو: أن الإنسان إذا أراد أن يتكلم مع النبى ﷺ كان يجب عليه أن يقدم قبل ذلك صدقة لله - تعالى - ما دام قادرًا على التصدق.

فشق ذلك على المسلمين.

فتلطف الله بهم وخفف عنهم ونسخ ذلك الحكم بقوله - تعالى - فى الآية التالية لها:

﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ﴾

[المجادلة: ١٣]

٢ ـ وقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

ومعنى قوله: ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ بأنه يجب على الإنسان أن يطيع الله ـ تعالى ـ ولا يعصاه مطلقًا، ويشكره فلا يكفره بأى حال من الأحوال ويذكره، فلا ينساه لحظة.

فقال الصحابة للرسول ﷺ: ومن يقوى على ذلك يا رسول الله؟.

فخفف الله ـ تعالى ـ على عباده وتلطف بهم لأنه بعباده رءوف رحيم، ونسخ ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وغير ذلك كثير وسيأتى تفصيله أثناء الحديث عن الناسخ والمنسوخ.

الثانى: معرفة تاريخ التشريع الإسلامى مثال ذلك:

١ ـ أننا إذا عرفنا أن الآيات التى نزلت فى فرضية الصلاة كانت بمكة قبل الهجرة.

٢ ـ وأن الآيات التى نزلت فى فرضية الزكاة والصوم كانت فى السنة الثانية من الهجرة.

٣ ـ وأن الآيات التى نزلت فى فرض الحج كانت فى السنة السادسة من الهجرة، أمكننا أن نرتبها ترتيبًا تشريعيًا فنقول: إن أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج.

ومثل: ما إذا عرفنا أن قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [الحج: ٣٩].

علمنا أن تشريع الجهاد كان بالمدينة فى السنة الثانية للهجرة، وهكذا[1].

الثالث: معرفة التدرج فى التشريع الإسلامى، عندئذ ندرك حكمة الله ـ تعالى ـ العالية ورحمته بعباده فى أخذهم بالهوادة والرفق، والبعد بهم عن غوائل الطفرة والعنف.

«التدرج فى تحريم الخمر»

وبيان ذلك أن تحريم الخمر مر بأطوار ثلاثة:

- **الأول:** التصريح بأن الخمر ضررها أكثر من نفعها، وذلك للحث على التنفير منها والبعد عنها.

يرشد لذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

- **الثانى:** تحريم الخمر قرب القيام للصلاة حتى لا يدخل المصلى الصلاة وهو سكران.

يوضح ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣].

- **والطور الثالث:** تحريم الخمر تحريمًا قطعيًا فى جميع الأوقات.

ودليل ذلك قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

---

(١) قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: إنا والله لنهلكن، فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ الآية. قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. اهـ.

المرجع: أسباب النزول للنيسابورى ص٢٠٨، ويقال: إنها نزلت فى طريق الهجرة وهو أمثل، وانظر: من علوم القرآن ٢٢.

فإذا ما علمنا أن آية سورة البقرة التى نزلت فى بيان أن ضرر الخمر أكثر من نفعها، أدركنا أنها أول آية نزلت بشأن الخمر، وكان نزولها قبل نزول آيات سورتى النساء والمائدة.

وإذا ما علمنا أن آية سورة النساء نزلت فى النهى عن تحريم الخمر فى أوقات مخصوصة أدركنا أنها نزلت قبل آيتى سورة المائدة، وأن آيتى سورة المائدة كانتا آخر شىء نزل فى تحريم الخمر. والله أعلم.

* * *

الفصل الثانى

تقسيمات القرآن الكريم

(١) تقسيم القرآن إلى مكى، ومدنى.

(٢) تقسيم القرآن الكريم إلى سور وما يتعلق بذلك.

(٣) تقسيم سور القرآن:

(أ) الطـول. (ب) المئيــن.

(جـ) المثانى. (د) المفصل.

(٤) تقسيم القرآن الكريم:

(أ) العدد الإجمالى لآيات القرآن.

(ب) معنى الآية.

(جـ) فوائد معرفة الآية.

(د) الطرق التى تعرف بموجبها الآية.

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن.

أولا : تقسيم القرآن إلى مكى، ومدنى

من المعلوم أن مدة بعثة النبى ﷺ امتدت إلى ثلاث وعشرين سنة تقريبًا، مكث منها ثلاث عشرة سنة فى مكة قبل الهجرة، وعشر سنوات فى المدينة المنورة بعد الهجرة.

وفى خلال مدة بعثته ـ عليه الصلاة والسلام ـ تم نزول القرآن الكريم.

ومن هنا جاز تقسيم القرآن إلى مكى، ومدنى.

وفى هذا المقام أجد عدة أسئلة تفرض نفسها وتتطلب الإجابة عليها مثل:

(١) ما السور التى نزلت فى مكة؟

(٢) ما السور التى نزلت فى المدينة؟

(٣) ما المقصود من المكى، والمدنى؟

(٤) هل هناك طرق لمعرفة كل منهما؟

(٥) ما علامات كل منهما؟

(٦) ما مميزات كل منهما؟

وإليك الإجابة على كل هذه التساؤلات حسب ترتيبها:

(١) **أن السور التى نزلت بمكة المكرمة** وفقًا لما ورد عن: عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) هى كما يلى[1]:

---

(١) انظر: مقدمتان فى علوم القرآن ص ٨ ، ٩.

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	اقرأ باسم ربك	٢٤	والسماء ذات البروج
٢	ن والقلم	٢٥	والتين والزيتون
٣	والضحى	٢٦	لإيلاف قريش
٤	يا أيها المزمل	٢٧	القارعة
٥	يا أيها المدثر	٢٨	لا أقسم بيوم القيامة
٦	تبت يدا أبى لهب	٢٩	ويل لكل همزة لمزة
٧	إذا الشمس كورت	٣٠	والمرسلات عرفا
٨	سبح اسم ربك الأعلى	٣١	ق والقرآن المجيد
٩	والليل إذا يغشى	٣٢	لا أقسم بهذا البلد
١٠	والفجر	٣٣	والسماء والطارق
١١	ألم نشرح لك صدرك	٣٤	اقتربت الساعة
١٢	والعصر	٣٥	ص والقرآن ذى الذكر
١٣	إنا أعطيناك الكوثر	٣٦	الأعراف
١٤	ألهاكم التكاثر	٣٧	قل أوحى إلى
١٥	أرأيت الذى	٣٨	يس والقرآن الحكيم
١٦	ألم تر كيف فعل ربك	٣٩	الفرقان
١٧	قل يا أيها الكافرون	٤٠	الإسراء
١٨	قل هو الله أحد	٤١	مريم
١٩	والنجم	٤٢	طه
٢٠	عبس وتولى	٤٣	الشعراء
٢١	إنا أنزلناه فى ليلة القدر	٤٤	النمل
٢٢	الحج	٤٥	القصص
٢٣	والشمس وضحاها	٤٦	فصلت

مسلسل	اسم السورة
٤٧	يونس
٤٨	هود
٤٩	يوسف
٥٠	الحجر
٥١	الأنعام
٥٢	الصافات
٥٣	لقمان
٥٤	سبأ
٥٥	الزمر
٥٦	غافر
٥٧	السجدة
٥٨	الشورى
٥٩	الزخرف
٦٠	الدخان
٦١	الجاثية
٦٢	الأحقاف
٦٣	الذاريات
٦٤	هل أتاك حديث الغاشية
٦٥	الكهف
٦٦	النحل
٦٧	نوح
٦٨	إبراهيم
٦٩	اقتربت الساعة
٧٠	الأنبياء
٧١	المؤمنون
٧٢	السجدة
٧٣	الرعد
٧٤	الطور
٧٥	تبارك الذى بيده الملك
٧٦	الحاقة
٧٧	سأل سائل بعذاب واقع
٧٨	عم يتساءلون
٧٩	النازعات
٨٠	إذا السماء انفطرت
٨١	إذا السماء انشقت
٨٢	الروم
٨٣	العنكبوت

مما تقدم يتبين أن جملة السور القرآنية التى نزلت بمكة المكرمة ثلاث وثمانون سورة، سوى بعض آيات فى بعض هذه السور فإنها نزلت بالمدينة المنورة[١].

بعد ذلك ننتقل لبيان السور التى نزلت بالمدينة المنورة فنقول:

(١) انظر: مقدمتان فى علوم القرآن ص ٨ ، ٩.

(٢) إن السور التى نزلت بالمدينة المنورة وفقًا لما ورد عن: عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ هى كما يلى:

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	ويل للمطففين	١٦	إذا جاءك المنافقون
٢	البقرة	١٧	النور
٣	الأنفال	١٨	المجادلة
٤	آل عمران	١٩	الحجرات
٥	الأحزاب	٢٠	التحريم
٦	الممتحنة	٢١	الجمعة
٧	النساء	٢٢	التغابن
٨	إذا زلزلت	٢٣	الصف
٩	الحديد	٢٤	الفتح
١٠	محمد ﷺ	٢٥	المائدة
١١	هل أتى على الإنسان	٢٦	التوبة
١٢	الطلاق	٢٧	إذا وقعت الواقعة
١٣	لم يكن	٢٨	والعاديات ضبحا
١٤	الحشر	٢٩	الفلق
١٥	إذا جاء نصر الله	٣٠	الناس

مما تقدم تبين أن جملة السور القرآنية التى نزلت بالمدينة المنورة ثلاثون سورة[١].

فإذا ما جمعنا السور المكية وهى ٨٣. على السور المدنية وهى ٣٠ سورة. يكون مجموع سور القرآن ١١٣ سورة.

(١) انظر: مقدمتان فى علوم القرآن ص ١٠.

فإذا قيل: من المعلوم لدى أهل العلم أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة. فما هى السورة المكملة للعدد الذى ذكرته؟

أقـول : تلك السورة هى سورة الفاتحة.

فإن قيل: ولماذا لم تذكرها ضمن أحد هذين القسمين؟

أقـول : لقد قيل إنها نزلت مرتين: إحداهما بمكة، والأخرى بالمدينة، والراجح أنها نزلت بمكة، وبهذا يصبح العدد الإجمالى لسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة.

(٣) للعلماء فى تحديد معنى المكى والمدنى ثلاثة مذاهب:

- **الأول:**

وهو أرجحها وأشهرها: أن المكى: ما نزل قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة المنورة سواء نزل فى مكة نفسها، أو فى ناحية أخرى.

والمدنى: ما نزل بعد الهجرة، سواء نزل بالمدينة أو فى غيرها.

وعلى هذا المذهب يكون المعتبر فى التقسيم زمن النزول.

- **المذهب الثانى:**

أن المكى: ما نزل بمكة، سواء كان نزوله قبل الهجرة، أو بعدها، وسواء كان فى مكة نفسها أو فيما جاورها من الأماكن القريبة منها مثل: منى، وعرفات، والحديبية، لأن ما قارب الشىء يعطى حكمه.

والمدنى: ما نزل بالمدينة المنورة، سواء نزل فى المدينة نفسها أو فى مكان قريب منها مثل: بدر، وأحد.

وعلى هذا يكون المعتبر فى التقسيم مكان النزول، وعليه يكون ما نزل فى غير مكة، والمدينة، وضواحيهما، قسمًا مستقلا، لا يطلق عليه مكى، ولا مدنى.

• المذهب الثالث:

أن المكى: ما نزل فى شأن أهل مكة، سواء كان قبل الهجرة أو بعدها.

والمدنى: ما لم ينزل فى شأن أهل مكة، ومن على شاكلتهم من عبدة الأصنام.

وعلى هذا يكون المعتبر فى التقسيم المخاطبين[١].

(٤) طرق معرفة كل من المكى، والمدنى:

قال القاضى أبو بكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ)[٢]: إنما يرجع فى معرفة المكى والمدنى إلى حفظ الصحابة والتابعين. ولم يرد عن النبى ﷺ فى ذلك قول، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة.. اهـ.

وقد ورد عن ابن عباس وغيره عد المكى والمدنى[٣].

إذًا فالسبيل الوحيد لمعرفة المكى والمدنى هو النقل الصحيح عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ..

(٥) علامات كل من المكى والمدنى:

لقد وضع العلماء السابقون ـ جزاهم الله خيرًا ـ علامات يمكن بموجبها معرفة كل من المكى، والمدنى. وبالرجوع إلى هذه العلامات وتفحصها وجدتها تتقسم إلى قسمين:

(أ) ما يطرد على الدوام.

(ب) وما هو غير مطرد على الدوام.

وإليك تفصيل الكلام على ذلك:

---

(١) انظر: الإتقان (٢٣/١)، وتاريخ المصحف ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلانى من كبار علماء الكلام، وكان موصوفًا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب، له عدة مصنفات (ت ٤٠٣هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٦٠٩/١)، وتاريخ بغداد (٣٧٩/٥).

(٣) انظر: الإتقان (٢٤/١)، وتاريخ المصحف ١٠١:

• **أولا**: علامات المكى المطردة مثل:

١ - وجود لفظ «يا بنى آدم» فى السورة، فكل سورة فيها هذا اللفظ فهى مكية.

٢ - وجود آية سجدة فى السورة، فكل سورة فيها آية سجدة تعتبر مكية.

٣ - وجود لفظ «كلا» فى السورة: فكل سورة فيها هذا اللفظ فهى مكية.

ولذا قال بعضهم: ما نزلت «كلا» بيثرب، ولم تأت فى القرآن فى نصفه الأعلى بل كلها موجودة فى النصف الأخير منه، وجملتها ثلاث وثلاثون مرة، فى خمس عشرة سورة.

• **ثانيا**: علامات المكى غير المطردة مثل:

١ - اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ «يا أيها الناس».

فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ دليل على أن السورة مكية، وهذا فى الغالب، لأنه وجد هذا فى سور وهى مدنية، وذلك فى السور الآتية:

* سورة البقرة، فيها آيتان وهما:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ [البقرة: ١٦٨].

* سورة النساء، فيها ثلاث آيات وهى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٠].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٤].

* سورة الحج، فيها آية واحدة وهى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① ﴾ [الحج: ١].

* سورة الحجرات فيها آية واحدة وهى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢ - ذكر قصة آدم وإبليس فى السورة:

فكل سورة ذكرت فيها هذه القصة مكية، إلا سورة البقرة فهى مدنية مع ذكر هذه القصة فيها.

٣ - افتتاح السورة بحروف التهجى مثل:

ألم - الر - طس - طسم - حم - ق - ن - ص ... إلخ.

فكل سورة افتتحت بحروف التهجى فهى مكية. إلا سورتين وهما: البقرة، وآل عمران، فهما مدنيتان بالإجماع، مع كونهما مفتتحتين بحروف التهجى.

٤ - اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل، وأحوال الأمم السابقة. لما فيها من أبلغ المواعظ وأنفع العبر، ومن تقرير سنته - تعالى - فى كونه، وهى إهلاك الأمم المكذبة لرسلها، الخارجة عن أوامر ربها، ونصر من صدق رسول الله - تعالى -، ووقف عند حدوده، وعمل بشرائعه.

فكل سورة تضمنت ما ذكر فهى مكية، إلا سورة البقرة، فهى مدنية مع اشتمالها على ذكر قصص بعض الرسل.

٥ - قصر الآيات:

فقصر آيات السورة أمارة على كونها مكية، وذلك لأن أهل مكة كانوا أهل فصاحة، فيناسبهم الإيجاز دون الإطناب.

وهذه العلامة أغلبية، إذ قد يوجد قصر الآيات فى السورة وهى مدنية، مثل سورة (النصر) فآياتها قصيرة مع كونها مدنية[1].

---

(١) انظر: الإتقان (٢٧/١) فما بعدها، وتاريخ المصحف ص ١٠٢ فما بعدها، ومع القرآن الكريم ص١٤٦ فما بعدها.

● **ثالثًا**: علامات المدنى المطردة مثل:

اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ فى السورة سواء كانت هذه الآية فى أول السورة أم فى وسطها، أم فى آخرها، أمارة على أن هذه السورة مدنية، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الإيمان كان غالبًا على أهل المدينة، فخوطبوا بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

وهذه العلامة تعتبر مطردة، فإذا ما وجد هذا اللفظ فى سورة ما، كان ذلك دليلاً على أن هذه السورة مدنية قطعًا[1].

● **رابعًا**: علامات المدنى غير المطردة مثل:

طول أكثر سوره وآياته.

ولعل ذلك يرجع إلى أن أهل المدينة كانت حالهم وطباعهم، وخصالهم تستدعى الإسهاب، لأن قلوبهم كانت على استعداد لتلقى الدعوة الإسلامية، كما أن استعدادهم لقبول الإسلام ومبادئه كان أيضًا عاملاً من عوامل طول السور والآيات، نظرًا لأن بسط الأحكام الشرعية، كان يقتضى الإطناب. وسيتجلى لنا ذلك أثناء الحديث عن مميزات كل من المكى والمدنى.

وهذه العلامة غير مطردة بل هى فى الغالب، إذ قد توجد سورة طويلة وآياتها طوال وهى مكية، مثل: سورة (الأنعام).

كما توجد سورة قصيرة، وآياتها قصار، مثل: سورة (النصر)[2].

(٦) مميزات كل من المكى، والمدنى:

بعد أن تحدثت عن علامات كل من المكى، والمدنى، أتحدث عن مميزات كل منهما.

---

(١) انظر: الإتقان (١ ـ ٤٧)، وتاريخ المصحف ص١٠٥، ومع القرآن الكريم ص١٤٩.

(٢) انظر: الإتقان (٤٧/١).

فإن قيل: هل هناك فارق بين العلامات والمميزات؟

أقول : بالبحث لم أجد أحدًا نص على ذلك، بل الكتاب يدمجون العلامات فى المميزات ولا يفرقون بينهما.

ولكنى أرى أنهما يختلفان فيما يلى:

إن المميزات أخص من العلامات، وبيان ذلك أن المميزات تتعلق بأسلوب القرآن الكريم، فالأسلوب المكى يختلف عن الأسلوب المدنى.

كما أن المميزات تتعلق بالمضمون، فالسور المكية مضمونها مغاير فى الغالب لمضمون السور المدنية.

وإليك تفصيل الكلام على ذلك:

(أ) مميزات السور المكية:

تتميز السور المكية على المدنية بأمور منها:

١ ـ عناية آى السورة بالدعوة إلى المقصد الأسمى من الدين، وهو الإيمان بالله ـ تعالى ـ وتوحيده، والاعتقاد بأنه ـ تعالى ـ موصوف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، والإيمان برسالة النبى ﷺ، وبرسالة من سبقه من الرسل والإيمان بملائكة الله ـ تعالى ـ، وكتبه، وباليوم الآخر، وما فيه من بعث ونشور وحساب، وجزاء، ونعيم، وعقاب، مع إثبات ذلك كله بأدلة الكون، وبراهين العقل.

ثم النعى على المشركين، وإبطال شبههم، وتفنيد مزاعمهم، وتسفيه أحلامهم بعكوفهم على عبادة أصنام لا تملك لأنفسها ـ فضلاً عن غيرها ـ نفعًا ولا ضرًا.

٢ ـ تتحدث آى السور المكية عن مثالب المشركين البغيضة، وعاداتهم المنكرة، من القتل بغير حق، ووأد البنات، وأكل أموال اليتامى ظلمًا، إلى غير ذلك من الموبقات، مع تحذيرهم منها، ووعيدهم على ارتكابها، وهذا بحسب الغالب، إذ قد توجد آيات فى سورة مدنية مشتملة على ما ذكرنا.

٣ ـ تتضمن آيات السور المكية الحث على التحلى بأصول الفضائل وأمهات المكارم، من الصدق فى الحديث، والصبر على المكاره، وحسن المعاملة، والتواضع ولين الجانب، وطهارة القلوب، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلى غير ذلك من الفضائل.

وهذا بحسب الغالب أيضًا، إذ قد توجد آيات فى سور مدنية مشتملة على بعض ما ذكرنا[(١)].

(ب) مميزات السور المدنية:

تتميز السور المدنية عن المكية بأمور منها:

١ ـ دعوة أهل الكتابين: اليهود، والنصارى، إلى الانضواء تحت لواء الإسلام، وإقامة البراهين على فساد عقيدتهم، وبعدهم عن الحق والصواب، وتحريفهم كتب الله ـ تعالى ـ.

٢ ـ اشتمال السور المدنية على الإذن بالجهاد، وبيان أحكامه؛ لأن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة.

٣ ـ تتضمن السور المدنية بيان قواعد التشريع التفصيلية، والأحكام العملية فى العبادات، والمعاملات، والفرائض، وأحكام الحدود، وأنواع القوانين: المدنية ـ والجنائية ـ والاجتماعية ـ وأحكام الأحوال الشخصية ـ ونظام الأسرة، إلى غير ذلك من دقائق التشريع الإسلامى.

٤ ـ اشتمال السور المدنية على أحوال المنافقين، ومواقفهم من الدعوة المحمدية، وتوقيف الرسول ﷺ على جلية أمرهم وما يكنون له من حسد، وعداوة، وذلك أن المنافقين لم تنشأ جماعتهم إلا فى المدينة المنورة حيث قويت شوكة المسلمين، وأصبح ضعاف الإيمان يخشون المسلمين من جهة، ويخشون الكفار من جهة أخرى، فالحديث عن المنافقين إذًا إنما كان بعد الهجرة النبوية[(٢)].

٥ ـ من مميزات الآيات المدنية طولها فى الغالب الأعم.

(١) انظر: تاريخ المصحف ص ١٠٤ ـ ١٠٥، ومع القرآن الكريم ص١٥٣.

(٢) انظر: تاريخ المصحف ص١٠٥، ومع القرآن الكريم ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

فائـدة:

ينبغى أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مكية يصدق بحالتين:

- **الأولى:** أن تكون جميع آياتها مكيـة، مثل: سورة (المـدثر) فإن آياتهـا كلها مكية باتفاق.

- **الثانية:** أن تكون معظم آياتها مكيـة مثل: سورة (النحل) فإنها مكيـة ما عدا الآيات الثلاث فـى آخرها من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ إلى آخر السورة [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٨]، فإنها مدنية.

كما أنه ينبغى أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مدنية يصدق بحالتين أيضًا:

- **الأولى:** أن تكون جميع آياتها مدنية، مثل: سورة (النور).

- **الثانية:** أن تكون أغلب آياتها مـدنية، مثل: سـورة (محـمـد) ﷺ فإنها كلها مدنيـة إلا قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) ﴾ [محمد: ١٣].

فـإنهـا مكيـة، لنـزولهـا حـين خـروج النبى ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ من مكة مهاجرًا إلى المدينة المنورة.

* * *

ثانياً : تقسيم القرآن الكريم إلى سور وما يتعلق بذلك

(أ) العدد الإجمالى لسور القرآن:

لقد اختلف فى العدد الإجمالى لسور القرآن الكريم:

١ ـ فالجمهور على أن العدد الإجمالى لسور القرآن ـ ١١٤ ـ مائة وأربع عشرة سورة.

وهذا هو القول الصحيح الذى لا ينبغى العدول عنه.

٢ ـ وقيل: هو ـ ١١٣ ـ مائة وثلاث عشرة سورة، وذلك يجعل (الأنفال، وبراءة) سورة واحدة[١].

(ب) فإن قيل: ما معنى السورة؟

أقـول : السورة هى الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع، وأقلها ثلاث آيات[٢].

(جـ) حكم ترتيب سور القرآن الكريم:

فإن قيل: هل ترتيب سور القرآن على ما هو عليه الآن توقيفى؟

أقول : بالرجوع إلى أقوال العلماء أمكننى أن أستخلص من ذلك ثلاثة أقوال:

- **الأول:** وهو أرجحها أنه توقيفى تولاه النبى ﷺ، كما أخبر به «جبريل» ـ عليه السلام ـ، عن رب العزة ـ جل وعلا ـ.

وقد ذهب إلى هذا الرأى جمهور العلماء مثل:

١ ـ أبى بكر الأنبارى (ت ٣٢٨هـ).

٢ ـ أبى جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ).

---

(١) انظر: الإتقان (١/١٨٤).

(٢) انظر: مباحث علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص١٢٩، والبرهان للزركشى (١/٢٦٤)، والإتقان (١/١٥٠).

٣ ـ الكرمانى (ت ٥٠٢هـ) تقريبًا.

٤ ـ الطيبى (ت ٧٤٣هـ)، وغيرهم.

وإليك بعض أقوال العلماء التى تدل على ذلك:

قال أبو بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ)(١):

أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه فى بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويوقف «جبريل» النبى ﷺ على موضع الآية والسورة.

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبى ﷺ. فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن الكريم.. اهـ(٢).

وقال الكرمانى (ت ٥٠٢ هـ)(٣):

ترتيب السور هكذا هو من عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان ﷺ يعرض على «جبريل» كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

فأمره «جبريل» أن يضعها بين آيتى الربا والدَّين.. اهـ(٤).

وقال الطيبى (ت ٧٤٣ هـ)(٥):

أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا على حسب المصالح، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ.. اهـ(٦).

---

(١) هو: محمد بن القاسم بن محمد، أبو بكر بن الأنبارى البغدادى صاحب التصانيف الكثيرة فى القراءات وغيرها (ت ٣٢٨هـ)، انظر: تاريخ بغداد (١٨١/٣)، وتذكرة الحفاظ (٥٧/٣)، وبغية الوعاة ص٩١.

(٢) انظر: الإتقان (١٧٦/١)، وتاريخ المصحف ص١٢٣.

(٣) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر، الكرمانى الشافعى. الملقب تاج القراء. توفى بعد سنة ٥٠٠هـ. له عدة مصنفات، انظر: بغية الوعاة ص٣٨٧.

(٤) انظر: الإتقان (١٧٧/١)، وتاريخ المصحف ص١٢٣.

(٥) هو: الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى، أحد شراح الكشاف (ت ٧٤٣هـ)، انظر: بغية الوعاة ص٢٢٨.

(٦) انظر: الإتقان (١٧٧/١)، وتاريخ المصحف ص١٢٣.

وقال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)[١]:

المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث واثلة ابن الأسقع. أن النبى ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثانى، وفضلت بالمفصل».. اهـ.

قال النحاس:

فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبى ﷺ وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع فى المصحف على شىء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن[٢].

وقال السيوطى (ت ٩١١هـ)[٣]:

ومما يدل على أن ترتيب السور توقيفى أن الحواميم رتبت ولاء (متوالية)، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس النمل مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديًا لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس النمل عن القصص.. اهـ[٤].

وأقـول: هذا الرأى هو الذى أرجحه وأختاره.

• القول الثانى:

أن ترتيب السور توقيفى منقول عن النبى ﷺ، إلا سورتى (الأنفال، وبراءة) فإن وضعهما فى موضعهما كان باجتهاد من عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ، ووافقه عليه الصحابة.

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المصرى، أبو جعفر، من علماء التفسير والأدب. ولد وتوفى بمصر، له عدة مصنفات منها: تفسير القرآن وإعراب القرآن وشرح أبيات سيبويه، وناسخ القرآن ومنسوخه، وشرح المعلقات السبع (ت ٣٣٨هـ)، انظر: الأعلام (١٩٩/١)، وفوات الوفيات (٦١/١)، وأعلام النبلاء (٢٣/٤)، وأعيان الشيعة (٣٥٦/٩).

(٢) انظر: البرهان (٢٥٨/١)، والإتقان (١٧٨/١)، وتاريخ المصحف ص١٢٣.

(٣) هو: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر السيوطى ولد بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمانى سنين بل أقل من ذلك، ثم تلقى العلوم الشرعية، والعربية على مشاهير علماء عصره، وشاع صيته بين الأنام، واشتهر بالعلم، والزهد، والورع. ألف فى كثير من الفنون، بلغت مصنفاته كما قال ابن إياس: ٦٠٠ ستمائة مؤلف، انظر: مقدمة الإتقان ص ٣ ـ ٧، وحسن المحاضرة.

(٤) انظر: الإتقان (١٧٩/١)، وتاريخ المصحف ص١٢٥.

وممن جنح إلى هذا المذهب، البيهقى (ت ٤٥٨هـ)[١].

وقد استدل أصحاب هذا القول بما روى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) أنه قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى (الأنفال) وهى من المثانى، وإلى (براءة) وهى من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموهما فى السبع الطُّوَل؟

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما فى السبع الطُّوَل.. اهـ[٢].

تعقيب:

هذا الحديث يدل على أن وضع سورة (الأنفال) و (براءة) فى موضعهما على الترتيب الموجود بالمصحف الآن كان باجتهاد عثمان بن عفان حيث نسب ذلك إلى نفسه، ولم يسنده للنبى ﷺ.

أما ما عداهما من بقية السور فالحديث يدل على أن عثمان اتبع فى ترتيبها توقيف النبى ﷺ.

إلا أننى أرى أن هذا الحديث لا يعد دليلاً قويًا لصحة هذا القول.

وذلك لأن الإمام الترمذى (ت ٢٧٩هـ)[٣]: وهو أحد رواته قال فيه: إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسى عن ابن عباس، وقد سئل يحيى بن معين عن يزيد الفارسى فقال: لا أعرفه.. اهـ.

---

(١) هو: أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر البيهقى الشافعى من أئمة الحديث، له العديد من المصنفات منها: السنن الكبرى، وشعب الإيمان، والأسماء، والصفات (ت ٤٥٨ هـ)، انظر: طبقات السبكى ص ٢ - ٣، وتذكرة الحفاظ (٣٠٩/٣)، ووفيات الأعيان (٢٤/١)، وشذرات الذهب (٣٤/٣).

(٢) انظر: الإتقان (١٧٢/١)، وتاريخ المصحف ص١٢٢.

(٣) هو: محمد بن عيسى بن سورة السلمى، أبو عيسى، من أهل ترمذ على نهر جيحون، من أئمة الحديث وحفاظه وكان يضرب به المثل فى الحفظ، له عدة مؤلفات منها: الجامع الكبير فى الحديث، والشمائل النبوية، والتاريخ والعلل فى الحديث، توفى بترمذ سنة ٢٧٩، انظر: الأعلام (٢١٣/٧)، والأنساب للسمعانى ٩٥، ودائرة المعارف الإسلامية (٢٢٨/٥)، ووفيات الأعيان (٤٨٤/١)، وميزان الاعتدال (١١٧/٣)، والفهرست ص٢٣٣.

ورجل هذا شأنه مجهول الحال لا ينبغى أن تكون روايته التى انفرد بها مما يعتمد عليها فى هذه القضية المهمة المتعلقة بالقرآن الكريم.

• القول الثالث:

أن ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة - رضى الله عنهم -..

وممن جنح إلى هذا القول كل من:

١ - الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)[١].

٢ - أبى بكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) فى أحد قوليه[٢].

٣ - أبى الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)[٣].

ومما استدل به أصحاب هذا القول:

إن مصاحف الصحابة - رضى الله عنهم - كانت مختلفة فى ترتيب السور.

مثال ذلك:

١ - إن مصحف على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) كان مرتب السور حسب ترتيب نزولها على النبى ﷺ.

فكان أوله سورة العلق، ثم المدثر، ثم ن، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر السور المكية، ثم السور المدنية حسب ترتيب نزولها.

٢ - ومصحف عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ)، وأُبَى بن كعب (ت ٣٠هـ) كانا مبدوءين بسورة البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، وهكذا[٤].

فلو كان ترتيب السورة توقيفيًا لما اختلفت فيه المصاحف.

---

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى، أبو عبد الله المدنى أحد الأئمة الأعلام، وصاحب المذهب المشهور، وإمام دار الهجرة، له عدة مصنفات منها «الموطأ» (ت ١٧٩هـ)، انظر: صفوة الصفوة (٩٩/٢)، ووفيات الأعيان (١٥٥/١)، وتذكرة الحفاظ (١٩١/١)، وتهذيب التهذيب (١٠/٥).

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلانى من كبار علماء الكلام، اشتهر بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب، له الكثير من المصنفات وبخاصة فى علم الكلام (ت ٤٠٣هـ)، انظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥)، ووفيات الأعيان (٦٩/١).

(٣) انظر: الإتقان (١٧٦/١)، وتاريخ المصحف ص١٣٠.

(٤) انظر: الإتقان (١٨١/١)، ومباحث فى علوم القرآن ١٤٢، وتاريخ المصحف ص١٢٠.

تعقيب:

وأرى أن هذا القول مردود من ثلاثة أوجه:

الأول: إن المصاحف المذكورة كانت مرتبة قبل العرضة الأخيرة للقرآن الكريم.

وبعد العرضة الأخيرة التى استقر بها القرآن رتبت المصاحف وفقًا لمقتضاها بأمر النبى ﷺ.

الوجه الثانى: الأدلة التى قدمتها والتى تفيد أن ترتيب السور كان بأمر النبى ﷺ.

الوجه الثالث: أن زيدًا بن ثابت (ت ٤٥هـ - رضى الله عنه) الذى أسند إليه الخليفة عثمان بن عفان رياسة اللجنة التى تولت كتابة المصاحف كان من كتاب الوحى، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، وعلم ترتيب السور من رسول الله ﷺ.

زيد الذى هذه بعض صفاته لا بد أن يكون ترتيبه لسور القرآن الكريم أثناء كتابة المصاحف وفقًا لما تلقاه من النبى ﷺ.

والدليل على صحة ذلك إجماع الصحابة - رضى الله عنهم - على العمل الذى قام به زيد بن ثابت ورفاقه.

(د) فإن قيل ما الحكمة من جعل القرآن سورًا؟

أقول: قال الزركشى (ت ٧٩٤هـ)[1]:

الحكمة فى تسوير القرآن سورًا تحقيق لكون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله - تعالى -، وسورت السور طوالا، وقصارًا، وأوساطًا تنبيهًا على أن الطول ليس من شرط الإعجاز.

(١) هو: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى أحد العلماء الأثبات، وجهبذ من جهابذة أهل النظر، وأرباب الاجتهاد، ومن علماء الفقه، والحديث، والتفسير وأصول الدين، ولد بالقاهرة سنة (٧٤٥ هـ) ولم يكد يتجاوز سن الحداثة بعد أن حفظ القرآن الكريم حتى انتظم فى طلب العلم، وكان رضى الخلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعًا، له العديد من المصنفات، انظر: مقدمة البرهان (١/٥ ، ١٢)، والدرر الكامنة (٣/٣٩٧)، وشذرات الذهب (٦/٣٣٥).

فهذه سورة (الكوثر) ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز سورة (البقرة) ثم ظهرت لذلك حكمة فى التعليم، والتدرج من السور القصار إلى الأوساط، ثم إلى الطوال، تيسيرًا من الله - تعالى - على عباده فى حفظ كتابه، ومدارسته فنرى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من يحصل على شىء نفيس.

وكذلك المطيل فى التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى.

هذا إلى أن لكل سورة نمطًا مستقلاً: فسورة (يوسف) تترجم عن قصته، وسورة (براءة) تترجم عن أحوال المنافقين، وكامن أسرارهم، وغير ذلك.. اهـ[1].

وقال الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)[2]:

من فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا ما يلى:

إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون بابًا واحدًا.

ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة، ثم أخذ فى أخرى، كان ذلك أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمرت على الكتاب بطوله[3].

(هـ) فإن قيل: هل أسماء السور توقيفية؟

أقول: يرى جمهور العلماء أن أسماء جميع سور القرآن توقيفية، حيث جعل النبى ﷺ لكل سورة اسمًا خاصًا بها.

وإليك بعض الأحاديث التى تدل على ذلك:

---

(١) انظر: البرهان (٢٦٤/١)، وتاريخ المصحف ص١٣١.

(٢) هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى، صاحب القدم فى النحو، واللغة، والتفسير، والأدب، له عدة مصنفات منها: تفسير الكشاف (ت ٥٣٨ هـ)، انظر: أنباء الرواة (٢٦٥/٣).

(٣) انظر: البرهان (٢٦٥/١)، وتاريخ المصحف ص١٣١.

١ ـ قال ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة (البقرة)[١] فى ليلة كفتاه»[٢].

٢ ـ وقال ﷺ: «اقرءوا الزهراوين: (البقرة، وآل عمران) فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن أصحابهما» الحديث[٣].

٣ ـ وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة (الكهف) عصم من الدجال» اهـ[٤].

٤ ـ وعن «عائشة» (ت ٥٨ هـ ـ رضى الله عنها) قالت: كان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر، وبنى إسرائيل.. اهـ[٥].

٥ ـ وقال ﷺ: «من قرأ (الدخان) فى ليلة الجمعة غفر له» اهـ[٦].

٦ ـ وقال ﷺ: «من قرأ سورة (الواقعة) كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا» اهـ[٧].

* * *

(١) الآيتان من قوله ـ تعالى ـ:﴿آمن الرسول﴾ إلى آخر السورة.
(٢) أخرجه الشيخان.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) رواه الترمذى.
(٥) ذكره ابن وهب.
(٦) رواه مسلم.
(٧) أخرجه الترمذى.

تنبيــه:

اعلم أن أسماء سور القرآن الكريم تتقسم إلى قسمين:

- **الأول: ما يكون للسورة اسم واحد، وهذا القسم تعتبر التسمية فيه حينئذ توقيفية، بناء على القول الراجح حسبما ذكرت سابقًا.**

والسور ذات الاسم الواحد أربع وسبعون سورة، وبيانها فيما يلى:

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	النساء	١٨	الروم
٢	الأنعام	١٩	لقمان
٣	الأعراف	٢٠	الأحزاب
٤	يونس	٢١	سبأ
٥	هود	٢٢	الصافات
٦	يوسف	٢٣	ص
٧	الرعد	٢٤	الشورى
٨	إبراهيم	٢٥	الزخرف
٩	الحجر	٢٦	الدخان
١٠	مريم	٢٧	الأحقاف
١١	الأنبياء	٢٨	الفتح
١٢	الحج	٢٩	الحجرات
١٣	المؤمنون	٣٠	الذاريات
١٤	النور	٣١	الطور
١٥	الفرقان	٣٢	النجم
١٦	القصص	٣٣	الواقعة
١٧	العنكبوت	٣٤	الحديد

مسلسل	اسم السورة
٣٥	الجمعة
٣٦	المنافقون
٣٧	القلم
٣٨	الحاقة
٣٩	نوح
٤٠	الجن
٤١	المزمل
٤٢	المدثر
٤٣	القيامة
٤٤	الإنسان
٤٥	المرسلات
٤٦	النازعات
٤٧	عبس
٤٨	التكوير
٤٩	الانفطار
٥٠	المطففين
٥١	الانشقاق
٥٢	البروج
٥٣	الطارق
٥٤	الأعلى
٥٥	الغاشية
٥٦	الفجر
٥٧	البلد
٥٨	الشمس
٥٩	الليل
٦٠	الضحى
٦١	الشرح
٦٢	التين
٦٣	العلق
٦٤	القدر
٦٥	البينة
٦٦	الزلزلة
٦٧	العاديات
٦٨	القارعة
٦٩	التكاثر
٧٠	العصر
٧١	الهمزة
٧٢	الفيل
٧٣	قريش
٧٤	الكوثر

• القسم الثانى:

يكون للسورة أكثر من اسم، وحينئذ يكون بعض الأسماء توقيفيًا، والبعض الآخر غير توقيفى.

فإن قيل: مَن الواضع إذًا الأسماء غير التوقيفية؟

أقول: لعله الصحابة - رضى الله عنهم -، أو التابعون.

والسور التى لها أكثر من اسم جملتها أربعون سورة، وبيانها فيما يلى:

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	الفاتحة	٢١	ق
٢	البقرة	٢٢	اقتربت
٣	آل عمران	٢٣	الرحمن
٤	المائدة	٢٤	المجادلة
٥	الأنفال	٢٥	الحشر
٦	براءة	٢٦	الممتحنة
٧	النحل	٢٧	الصف
٨	الإسراء	٢٨	الطلاق
٩	الكهف	٢٩	التحريم
١٠	طه	٣٠	الملك
١١	الشعراء	٣١	سأل
١٢	النمل	٣٢	عم
١٣	السجدة	٣٣	لم يكن
١٤	فاطر	٣٤	الماعون
١٥	يس	٣٥	الكافرون
١٦	الزمر	٣٦	النصر
١٧	غافر	٣٧	تبت
١٨	فصلت	٣٨	الإخلاص
١٩	الجاثية	٣٩	الفلق
٢٠	محمد	٤٠	الناس

وهذا تفصيل القول فى السور التى لها أكثر من اسم:

أولا : سورة «الفاتحة».

سميت بأسماء متعددة، وقد أوصلها السيوطى (ت ٩١١هـ) إلى خمسة وعشرين اسمًا[1] إلا اننى سأذكر هنا أرجح الأقوال فى ذلك.

وإليك هذه الأسماء وبيان علة التسمية لكل منها:

١ ـ أم القرآن. ٢ ـ فاتحة الكتاب. ٣ ـ السبع المثانى.

فقد أخرج ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)[2] عن أبى هريرة (ت ٥٧ هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «هى أم القرآن، وهى الفاتحة، وهى السبع المثانى»[3].

فإن قيل: لِمَ سميت بهذه الأسماء؟

أقول: لعلها سميت بذلك لأنه يفتتح بها كل من:

١ ـ المصحف. ٢ ـ التعليم. ٣ ـ القراءة فى الصلاة.

وقال الماوردى (ت ٤٥٠هـ)[4]:

سميت بذلك لتقدمها، وتأخر ما سواها تبعًا لها، لأنها أمته، أى تقدمته ولهذا يقال لراية الحرب: «أم» لتقدمها، واتباع الجيش لها، كما يقال «لمكة»: «أم القرى» لتقدمها على سائر القرى.. اهـ[5].

وقيل: أم الشىء أصله، وهى أصل القرآن، لانطوائها على جميع أغراض القرآن، وما فيه من العلوم والحكم. والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر: الإتقان (١/١٥٠، ١٥٥).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، أبو جعفر الطبرى، كان إمامًا فى فنون كثيرة منها: التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، والتاريخ، له عدة مؤلفات، أشهرها: جامع البيان عن تأويل القرآن، وكتاب التاريخ، وأخبار الرسل والملوك، (ت ٣١٠هـ)، انظر: معجم الأدباء (٦/٤٢٤)، وطبقات المفسرين ص٣٠، ووفيات الأعيان (١/٥٧٧).

(٣) انظر: الإتقان ص١٥١.

(٤) هو: على بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردى، كان من كبار فقهاء الشافعية، له العديد من المصنفات، منها تفسيره «العيون والنكت» المعروف بتفسير الماوردى، (ت ٤٥٠هـ)، انظر: وفيات الأعيان (١/٤١٠)، وطبقات السبكى (٣/٣٠٣).

(٥) انظر: الإتقان (١/١٥٢).

٤ ـ القرآن العظيم. ٥ ـ السبع المثانى.

فقد روى البيهقى (ت ٤٥٨هـ)[١]، عن أبى هريرة (ت ٥٧ هـ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال لأم القرآن: «هى أم القرآن، وهى السبع المثانى، وهى القرآن العظيم» اهـ[٢].

فإن قيل: لِمَ سميت بذلك؟

أقول: لعلها سميت بذلك لاشتمالها على أصول المعانى التى فى القرآن الكريم. ولأنها سبع آيات.

وقيل: فيها سبعة آداب، فى كل آية أدب مستقل.

وأما «المثانى» فيحتمل أن يكون مشتقًا من التثنية، لما فيها من الثناء على الله ـ تعالى ـ.

ويحتمل أن يكون مشتقًا من التثنية، لأنها تثنى فى كل ركعة.

ويقوى هذا القول ما أخرجه ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) أنه قال: السبع المثانى فاتحة الكتاب، تثنى فى كل ركعة.. اهـ[٣].

وقيل: لأنها نزلت مرتين: الأولى بمكة، والثانية بالمدينة.

وقيل: على قسمين: ثناء، ودعاء.

وقيل: لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالأخبار عن فعله، كما فى الحديث[٤].

وهذه الأسماء الخمسة المتقدمة كلها توقيفية.

---

(١) هو: أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر البيهقى، الشافعى من أئمة الحديث، صنف التصانيف الكثيرة، منها: السنن الكبرى، وشعب الإيمان، والأسماء والصفات، (ت ٤٥٨هـ)، انظر: طبقات السبكى (٣/٣)، وتذكرة الحفاظ (٣٠٩/٣)، ووفيات الأعيان (٢٤/١)، وشذرات الذهب، الإتقان (١٥٢/١).

(٢ ـ ٤) انظر: الإتقان (١٥٣/١).

وإليك بعض الأسماء **غير التوقيفية**:

١ ـ الوافية:

فقد كان سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)[١] يسميها بهذا الاسم، وذلك لأنها وافية بما فى القرآن من المعانى.

وقال الثعلبى (ت ٤٢٧هـ)[٢]:

سميت الوافية لأنها لا تقبل التنصيف، فإن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها فى «الركعة» من الصلاة، والنصف الثانى فى الركعة الثانية لجاز. وهذا بخلاف سورة الفاتحة لأنه لا يجوز ذلك.

انتهى مع التصرف[٣].

٢ ـ الكافية.

وقد سميت بذلك لأنها تكفى فى الصلاة عن غيرها، ولا يكفى غيرها عنها، والله أعلم.

٣ ـ المناجاة.

وذلك لأن العبد يناجى فيها ربه بقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥].

٤ ـ الدعاء.

وذلك لاشتمالها عليه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦].

٥ ـ التفويض.

وذلك لاشتمالها على تفويض العبادة لله ـ تعالى ـ وإخلاص العبودية له وحده دون غيره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى، أبو محمد الكوفى، محدث مجمع على صحة حديثه، وروايته (ت ١٩٨هـ)، انظر: تاريخ بغداد (١٧٤/٩)، وتهذيب التهذيب (١١٧/٤).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبى النيسابورى، العالم بالتفسير، والقراءات، له العديد من المصنفات، منها تفسيره «الكشف والبيان فى تفسير القرآن» (ت ٤٢٧هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٢٦/١)، وأنباء الرواة (١١٩/١)، وغاية النهاية (١٠٠/١)، وبغية الوعاة ١٥٤، الإتقان (١٥٣/١).

(٣) انظر: الإتقان (١٥٣/١).

ثانيًا : سورة البقرة:

وقد ورد فيها العديد من الأسماء[1]، أذكر منها ما يلى:

١ - البقرة.

وقد سميت بذلك لذكر قصة «البقرة» فيها، وذلك ابتداء من قوله - تعالى -:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧].

٢ - سنام القرآن.

ولعلها سميت بذلك لأن سنام كل شىء أعلاه، وسورة البقرة تعتبر أطول سورة فى القرآن الكريم، وهى مشتملة على الكثير من قواعد التوحيد والعديد من الأحكام الشرعية، والآداب الإسلامية، والله أعلم بالصواب.

وهذان الاسمان توقيفيان.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (فسطاط القرآن).

فقد كان خالد بن معدان الكلاعى (ت ١٠٤هـ) يسميها فسطاط القرآن، وذلك لعظمها، ولما جمع فيها من الأحكام التى لم تذكر فى غيرها[2].

ثالثًا: سورة آل عمران:

من أسمائها التوقيفية:

١ - آل عمران.

فقد روى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى عطاف عمران بن عطاف (ت ١٣٠هـ) قال: اسم آل عمران فى التوراة طيبة[3].

٢ - الزهراء.

ففى صحيح مسلم (ت ٢٦١هـ)[4]، تسميتها وسورة البقرة: (الزهراوين)[5].

(١ : ٣) انظر: الإتقان (١/١٥٥).

(٤) هو: مسلم بن الحجاج القشيرى، أبو الحسن النيسابورى الحافظ، صاحب الصحيح، والتصانيف، (ت ٢٦١هـ)، انظر: الفهرست ص٣٣٦، وتاريخ بغداد (١٣/١٠٠)، ووفيات الأعيان (٢/١١٩)، وتذكرة الحفاظ (٢/١٥٠).

(٥) انظر: الإتقان (١/١٥٥).

رابعًا: سورة المائدة:

من أسمائها التوقيفية:

١ ـ المائدة.

ولعلها سميت بذلك لذكر قصة المائدة فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾ [المائدة: ١١٥].

٢ ـ العقود.

وذلك لقول الله ـ تعالى ـ فى أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(المنقذة): ولعلها سميت بذلك لأنها تنقذ من ينفذ الأحكام والأوامر التى اشتملت عليها من النار[١].

خامسًا: سورة الأنفال:

ولعلها سميت بذلك لذكر حكم (الأنفال) فيها لقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١].

وهذا الاسم توقيفى.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(بدر): «فقد روى سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)[٢] قال: قلت لابن عباس (ت ٦٨هـ): سورة (الأنفال) فقال: تلك سورة بدر.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: الإتقان (١/١٥٥).

(٢) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدى بالولاء، أبو عبد الله الكوفى، من التابعين المشهورين، قتله الحجاج بن يوسف بواسط شهيدًا سنة ٩٥هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/٢٥٦)، والطبقات الكبرى (٦/٢٥٦)، وغاية النهاية (١/٣٠٥)، وتهذيب التهذيب (٤/١١).

(٣) انظر: الإتقان (١/١٥٥).

ولعلها سميت بذلك لذكر غزوة (بدر) فيها، ابتداء من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ إلى آخر الآيات الواردة فى ذلك[1].

سادساً: سورة براءة:

وهذا هو الاسم التوقيفى.

فقد قال عكرمة (ت ١٠٥هـ)[2]: قال عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): ما فرغ من تنزيل (براءة) حتى ظننا أنه لا يبقى منا أحد إلا سينزل فيه.. اهـ[3].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

١ ـ التوبة.

وذلك لقول الله ـ تعالى ـ فيها: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [براءة: ١١٧].

٢ ـ الفاضحة.

فقد أخرج البخارى (ت ٢٥٦هـ) عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: قلت لابن عباس (ت ٦٨هـ): سورة التوبة، قال: التوبة، هى (الفاضحة) ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظننا ألا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها.. اهـ[4].

٣ ـ المثيرة:

فعن قتادة (ت ١١٨هـ)[5] قال: كانت هذه السورة يقال لها: (المثيرة) وذلك لأنها أثارت وكشفت عن مثالب المنافقين، وعوراتهم[6].

وهناك أسماء أخرى غير توقيفية ذكرها السيوطى فليرجع إليها من أراد[7].

---

(١) سورة الأنفال: ٧ فما بعدها.

(٢) هو: عكرمة مولى ابن عباس، البربرى، أبو عبد الله المدنى، كان من أعلم التابعين بتفسير القرآن (ت ١٠٥هـ)، انظر: الطبقات الكبرى (٢٨٧/٥)، وميزان الاعتدال (٢٠٨/٢)، وغاية النهاية (٥١٥/١)، وتهذيب التهذيب (٢٦٣/٢).

(٣) انظر: الإتقان (١٥٦/١).

(٤) انظر: الإتقان (١٥٥/١، ١٥٦).

(٥) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الدوسى، أبو الخطاب البصرى الضرير، الأكمه، حافظ، مفسر، ومن العلماء بالعربية (ت ١١٨هـ)، انظر: صفوة الصفوة (١٨٣/٣)، ومعجم الأدباء (٢٠٢/٦)، وتذكرة الحفاظ (١١٥/١)، وتهذيب التهذيب (٣٥١/٨)، وغاية النهاية (٢٥/٢).

(٦ ـ ٧) انظر: الإتقان (١٥٦/١).

سابعًا: سورة النحل:

وهذا هو الاسم التوقيفى.

ولعلها سميت بذلك لورود الحديث عن النحل فيها فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨]، إلى قـوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) ﴾ [النحل: ٦٩].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(النعم): فقد قال قتادة (ت ١١٨هـ): تسمى سورة (النعم) وذلك لما عدد الله فيها من النعم على عباده[1].

ثامنًا: سورة الإسراء:

وهذا هو الاسم التوقيفى. وذلك لاشتمالها على ذكر خبر إسراء النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [الإسراء: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة بنى إسرائيل): ولعل ذلك لاشتمالها على بعض أخبار بنى إسرائيل فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ [الإسراء: ٤].

تاسعًا: سورة الكهف:

وهذا هو الاسم التوقيفى.

ولعل ذلك لورود اسم الكهف فيها مثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ [الكهف: ١٦].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(أصحاب الكهف): وذلك لورود أصحاب الكهف فيها: اقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾ [الكهف: ٩][2].

---

(١) انظر: الإتقان (١/١٥٦).

(٢) انظر كل هذا فى: الإتقان (١/١٥٧).

عاشراً: سورة طـه:

وهذا هو الاسم التوقيفى، ولعلها سميت بذلك لأنها بدئت بهذا اللفظ.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة الكليم): ولعل سبب تسميتها بذلك لذكر مكالمة الله ـ تعالى ـ لنبيه «موسى» ـ عليه السلام ـ.

اقرأ فى ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [طه: ٩]، إلى آخر الآيات المرتبطة بذلك.

الحادى عشر: سورة الشعراء:

وهذا هو الاسم التوقيفى لها.

ولعلها سميت بذلك لورود لفظ (الشعراء) فيها فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة الجامعة): ولعل سبب تسميتها بذلك اشتمالها على ذكر أخبار وأحوال عدد كثير من الأمم السابقة(١).

الثانى عشر: سورة النمل:

وهذا هو الاسم التوقيفى، وذلك لوقوع حديث النملة فيها، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ [النمل: ١٨] الآيات.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة سليمان): وذلك لاشتمالها على قصة نبى الله «سليمان»، اقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾ [النمل: ١٧](٢).

(١ ـ ٢) انظر: الإتقان (١٥٧/١).

الثالث عشر: سورة السجدة:

وهذا هو اسمها التوقيفى؛ وذلك لورود لفظ السجدة فيها، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [السجدة: ١٥].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة المضاجع)؛ وذلك لورود لفظ المضاجع فيها اقرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

الرابع عشر: سورة فاطر:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة الملائكة)[١]؛ وذلك لاشتمالها على بعض صفات الملائكة، اقرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١].

الخامس عشر: سورة يس:

وهذا الاسم توقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ.

ومن أسمائها التوقيفية أيضًا:

قلب القرآن، فقد أخرج الترمذى من حديث أنس أن النبى ﷺ سماها (قلب القرآن)[٢].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(الدافعة، والقاضية).

وذلك لأنها تدفع عن الذى يعمل بما جاء فيها من تعاليم وأحكام وآداب «كل سوء» وتتسبب فى قضاء الله ـ تعالى ـ لصاحبها «حاجته»[٣].

(١ : ٣) انظر: الإتقان (١/١٥٧).

السادس عشر: سورة الزمر:

وهذا هو الاسم التوقيفي لها؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، اقرأ مثلاً قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة الغرف)[١]؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، اقرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [الزمر: ٢٠].

السابع عشر: سورة غافر:

وهذا هو الاسم التوقيفي؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها. اقرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [غافر: ٣].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

١ ـ الطول[٢]؛ لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣].

٢ ـ المؤمن[٣]؛ لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

الثامن عشر: سورة فصلت:

وهذا هو الاسم التوقيفي؛ وذلك لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت: ٣].

ومن أسمائها التوقيفية:

السجدة[٤]؛ لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ [فصلت: ٣٧].

(١ : ٤) انظر: الإتقان (١/١٥٧).

التاسع عشر: سورة الجاثية:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة الشريعة)[1]؛ لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية: ١٨].

العشرون: سورة «محمد» ﷺ:

وهذا هو الاسم التوقيفى. لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ٢].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة القتال)[2]؛ وذلك لاشتمالها على قتال الكفار. اقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤].

الحادى والعشرون: سورة ق:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاح السورة بهذا اللفظ:

﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ① ﴾ [ق: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة الباسقات)[3]؛ لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ [ق: ١٠].

الثانى والعشرون: سورة اقتربت:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ [اقتربت: ١].

(١ : ٣) انظر: الإتقان (١/١٥٧).

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة القمر)[1]؛ وذلك لاشتمالها على ذكر حادثة انشقاق القمر. اقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [اقتربت: ١].

الثالث والعشرون: سورة الرحمن:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ الجليل:

﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② ﴾ [الرحمن: ١، ٢].

ومن أسمائها التوقيفية أيضًا:

٢ ـ **عروس القرآن**؛ فقد أخرج البيهقى (ت ٤٥٨هـ)[2]، عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه)، أنها تسمى (عروس القرآن)[3].

الرابع والعشرون: سورة المجادلة:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لاشتمالها على حادثة مجادلة خولة بنت ثعلبة النبى ﷺ بخصوص مظاهرة زوجها منها وهو: أوس بن الصامت.

اقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١] إلى آخر الآيات.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة الظهار)[4]؛ وذلك لأنها بينت حكم الظهار فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ [المجادلة: ٢].

الخامس والعشرون: سورة الحشر:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢].

---

(١) انظر: الإتقان (١٥٧/١).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣ ـ ٤) انظر: الإتقان (١٥٧/١).

ومن أسمائها غير التوقيفية:

(سورة بنى النضير): فقد أخرج البخارى (ت ٢٥٦هـ)[١]، عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: قلت لابن عباس (ت ٦٨هـ): (سورة الحشر)، قال: قل: سورة بنى النضير.. اهـ[٢]. وبنو النضير هم المقصودون بقول الله ـ تعالى ـ:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[٣].

السادس والعشرون: سورة الممتحنة:

وهذا هو الاسم التوقيفى لها. قال ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)[٤]: المشهور فى هذه التسمية أنها بفتح الحاء على أنها صفة المرأة التى نزلت السورة بسببها. وقد تكسر الحاء، على أنها صفة السورة، كما قيل لبراءة: (الفاضحة)[٥].

ومن أسمائها غير التوقيفية:

(سورة المودَّة)[٦]؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

السابع والعشرون: سورة الصَّف:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ④﴾ [الصف: ٤].

---

(١) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله البخارى، الحافظ، له عدة مصنفات أشهرها: الجامع الصحيح (ت ٢٥٦هـ)، انظر: تاريخ بغداد (٢/٤، ٣٦)، وتذكرة الحفاظ (١٢٢/٢)، وطبقات السبكى (٢/٢)، وتهذيب التهذيب (٤٧/٩).

(٢) انظر: الإتقان (١٥٨/١).

(٣) والمراد بأول الحشر حشر بنى النضير إلى الشام، انظر: تفسير الجلالين ٤٦٣.

(٤) هو: أحمد بن على بن محمد الكنانى، العسقلانى، أبو الفضل، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من (عسقلان) بفلسطين، كان فصيح اللسان راوية للشعر، عارفًا بأيام المتقدمين، له عدة مصنفات منها: الدرر الكامنة، ولسان الميزان، وألقاب الرواة، وتهذيب التهذيب، والإصابة، توفى بمصر عام ٨٥٢هـ. انظر: التبر المسبوك ٢٣٠، والضوء اللامع (٣٦/٢)، والبدر الطالع (٨٧/١)، ولسان الميزان ٦، وبدائع الزهور (٢، ٣٢).

(٥ ـ ٦) انظر: الإتقان (١٥٨/١).

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة الحواريين)[1]؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾ [الصف: ١٤].

الثامن والعشرون: سورة الطلاق:

وهذا هو الاسم التوقيفى.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة النساء القصرى)؛ كما أخرجه البخارى (ت ٢٥٦هـ) عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)[2].

ولعل السبب فى هذه التسمية اشتمال السورة على عدة أحكام متعلقة بالنساء.

التاسع والعشرون: سورة التحريم:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ ولعل ذلك لأنها صدرت بحكم شرعى وهو: لما واقع النبى ﷺ أمته مارية القبطية فى بيت زوجه «حفصة» وكانت غائبة، فشق ذلك عليها، فقال النبى ﷺ: هى حرام على، فأنزل الله ـ تعالى ـ قوله: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ [التحريم: ٢]، أى: شرع لكم تحليلها[3].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة لِمَ تحرم)[4]؛ وذلك لاشتمالها على هذا اللفظ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ [5].

الثلاثون: سورة تبارك:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ: «تبارك»، وقد ذكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) عدة أسماء أخرى توقيفية لها، أذكر منها ما يلى:

١ ـ **سورة الملك**[6]؛ وذلك لاشتمالها على هذا اللفظ فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١].

(١ : ٤) انظر: الإتقان (١/١٥٨).

(٥) انظر: تفسير الجلالين ٤٧٦.

(٦) انظر: الإتقان (١/١٥٨).

٢ ـ أخرج الترمذى (ت ٢٧٩هـ) من حديث ابن عباس (ت ٦٨هـ) مرفوعًا: هى **المانعة** هى **المنجية** تنجيه من عذاب القبر.. اهـ[١].

وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ)[٢]، أن رسول الله ﷺ سماها **المنجية**.. اهـ[٣].

وعن ابن مسعود (ت ٢٢هـ ـ رضى الله عنه): كنا نسميها فى عهد رسول الله ﷺ **المانعة**[٤].

الحادى والثلاثون: سورة سأل:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ، قال ـ تعالى ـ:

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ ﴾ [المعارج: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة المعارج)[٥]؛ وذلك لوقوع هذا اللفظ فيها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ [المعارج: ٣].

الثانى والثلاثون: سورة عمّ:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ، قال ـ تعالى ـ:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ ﴾ [عم: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة النبأ، وسورة التساؤل)[٦].

وذلك لاشتمالها على هذين اللفظين فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [النبأ: ١، ٢].

(١ ـ ٢) انظر: الإتقان (١٥٨/١).

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد، أبو حمزة الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله ﷺ، ومن رواة الحديث المكثرين (ت ٩٣هـ). انظر: الإصابة (٧١/١).

(٤ ـ ٥) انظر: الإتقان (١٥٨/١).

(٦) انظر: الإتقان (١٥٩/١).

الثالث والثلاثون: سورة لم يكن:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ، قال - تعالى -:

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾ [البينة: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة البينة)[١]؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها. قال - تعالى -: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ [البينة: ١].

الرابع والثلاثون: سورة أرأيت:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ، قال - تعالى -:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ ﴾ [الماعون: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة الدِّين)[٢]؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها.

الخامس والثلاثون: سورة الكافرون:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، قال - تعالى -:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الكافرون: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة العبادة)[٣]؛ ولعل ذلك لاشتمالها على العديد من الكلمات المشتقة من (ع ب د).

السادس والثلاثون: سورة النصر:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، قال - تعالى -:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾ [النصر: ١].

ومن أسمائها **غير التوقيفية**:

(سورة التوديع)[٤]؛ ولعل ذلك لما فيها من الإيماء إلى قرب وفاة النبى ﷺ.

(١ : ٤) انظر: الإتقان (١/١٥٩).

السابع والثلاثون: سورة تبَّت:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ.

• ومن أسمائها **غير التوقيفية** : (سورة المسد)[1]؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ [تبت: ٥].

الثامن والثلاثون: سورة الإخلاص:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ ولعل ذلك لاشتمالها على آيات ترشد العبد إلى إخلاص التوحيد لله ـ تعالى ـ.

ومن أسمائها **غير التوقيفية**: (سورة الأساس)[2]؛ وذلك لاشتمالها على توحيد الله ـ تعالى ـ، الذى هو الأساس فى جميع الأديان.

التاسع والثلاثون: سورة الفلق:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ ﴾ [الفلق: ١].

الأربعون: سورة الناس:

وهذا هو الاسم التوقيفى؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها، قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس: ١].

ومن أسمائهما **غير التوقيفية**: يقال لهما (المعوذتان)، بكسر الواو[3]؛ ولعل ذلك لتضمنهما تعليم العباد ما يتعوذون منه بالله ـ تعالى ـ، ويعتصمون به ـ سبحانه ـ من شر ما أمروا بالتعوذ منه، والله أعلم.

* * *

(١ : ٣) انظر: الإتقان (١٥٩/١).

ثالثًا : تقسيم سور القرآن

(أ) الطوَل. (ب) المئين. (جـ) المثانى. (د) المفصل.

وإليك تفصيل الكلام فى ذلك:

(أ) الطـُـول[1]:

بالرجوع إلى أمهات المصادر وجدت العلماء متفقين على أن السور الطول سبع.

ولقد وجدتهم متفقين على ستة منها وهى: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنعام - الأعراف.

واختلفوا فى تعيين السورة السابعة: فذهب سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) إلى أن السورة السابعة هى سورة يونس. وذهب غيره إلى أنها سورة «الأنفال وبراءة» وذلك على اعتبار أنهما سورة واحدة[2].

وأرى أن القول الأول هو الراجح، لأنه يتمشى مع العدد الإجمالى لسور القرآن الكريم وهو ١١٤ سورة.

أما القول الثانى: فبناء عليه يصبح العدد الإجمالى لسور القرآن ١١٣ سورة. وسبق أن قررت أن هذا القول مرجوع لمخالفته جمهور العلماء.

فإن قيل: ما السبب فى هذه التسمية؟

أقول: لأن هذه السور تعتبر أطول سور القرآن من حيث العدد الإجمالى لكل منها[3].

---

(١) الطول: بضم الطاء المشددة مع فتح الواو: جمع طولى، كالكبر جمع كبرى وقد روى فى الطول كسر الطاء إلا أنه قليل، انظر: البرهان للزركشى (٢٤٤/١).

(٢) انظر: البرهان (٢٤٤/١)، والإتقان (١٧٩/١)، وتاريخ المصحف ١٢٩.

(٣) من أراد معرفة العدد الإجمالى لكل سورة فعليه الرجوع إلى المصنفات المعينة بذلك مثل: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر لفضيلة الشيخ القاضى.

(ب) المئـون:

هى السور التى تلى السبع الطول، إلى آخر سورة السجدة.

ولعلها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها[1].

(جـ) المثانى:

هى السـور التى تلى المئين، من أول سـورة الأحـزاب إلى أول سـورة ق، أو أول سورة الحجرات.

وقد اختلف فى سبب هذه التسمية:

١ - فقال الفراء (ت ٢٠٧هـ)[2]: هى السور التى آياتها أقل من مائة آية، لأنها تثنى أكثر مما تثنى الطول والمئون. اهـ.

٢ - وقـال السيـوطى (ت ٩١١ هـ): لأنهـا كانت بعد المئين فهى لها ثوان، والمئون لها أوائل. اهـ[3].

(د) المفصل:

هـى السور التى تلى المثانى إلى آخر القرآن الكريم: سورة الناس.

واختلف فى أول المفصل على قولين:

١ - قيل: أوله سورة ق، وقد جنح إلى ذلك الزركشى.

٢ - وقيل: أوله سورة الحجرات، وقد جنح إلى ذلك الإمام النووى (ت ٦٧٦هـ).

وهذا الخلاف مبنى على الخلاف المتقدم فى بيان آخر المثانى[4].

ثم إن العلماء قسموا «المفصل» ثلاثة أقسام:

١ - الطوال: من أول المفصل إلى أول سورة «عم».

٢ - الأوساط: من أول سورة «عم» إلى أول سورة «والضحى».

٣ - القصار: من أول سورة «الضحى» إلى آخر القرآن الكريم[5].

وسمى هذا القسم بالمفصل لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة.

* * *

(١) انظر: البرهان (١/٢٤٥).

(٢ - ٣) انظر: الإتقان (١/١٧٩).

(٤) انظر: البرهان (١/٢٤٥)، والإتقان (١/١٨٠).

(٥) انظر: الإتقان (١/١٨١)، وتاريخ المصحف ١٣٠.

رابعًا : تقسيم القرآن

(أ) العدد الإجمالى لآيات القرآن.

(ب) معنى الآية.

(جـ) فوائد معرفة الآية.

(د) الطرق التى تعرف بموجبها الآية.

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن.

وهذا تفصيل الكلام على هذه الأمور:

(أ) العدد الإجمالي لآيات القرآن:

هذه القضية تكفل ببيانها العلماء المشتغلون بعلم «الفواصل» أى: علم عدد آى القرآن.

وعلماء العدد المشهورون سبعة وهم:

١ - المدنى الأول. ٢ - المدنى الأخير. ٣ - المكى. ٤ - البصرى.

٥ - الدمشقى. ٦ - الحمصى. ٧ - الكوفى.

وإليك تفصيل الكلام على ذلك:

١ - المدنى الأول:

هو ما يرويه نافع (ت ١٦٩ هـ)، عن شيخيه أبى جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٢٨هـ)، وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ)، لكن اختلف أهل الكوفة والبصرة فى روايته على المدنيين:

فأهل الكوفة رووه عن أهل المدينة بدون تعيين أحد منهم، وعدد آى القرآن عندهم ٦٢١٧ آية، ستة آلاف ومائتين وسبع عشرة آية.

وأهل البصرة رووه عن ورش، عن نافع، عن شيخه، وعدد آى القرآن عندهم ٦٢١٤ آية. ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية[١].

٢ - المدنى الأخير:

هو ما يرويه إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح، بواسطة سليمان بن جماز (ت ١٧٠هـ) وعدد آى القرآن عنده ٦٢١٤ آية، ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية[٢].

٣ - العدد المكى:

هو ما رواه الدانى (ت ٤٤٤هـ) بسنده إلى عبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ) عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) عن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) عن أُبَى بن كعب (ت ٣٠هـ - رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ، وعدد آى القرآن عنده ٦٢١٠ آية، ستة آلاف ومائتين وعشر آيات[٣].

٤ - العدد البصرى:

هو ما يرويه عطاء بن يسار (ت ١٠٢هـ)، وعاصم الجحدرى (ت ١٢٨هـ) وهو ما ينسب بعد إلى أيوب بن المتوكل (ت ٢٠٠هـ). وعدد آى القرآن عنده ٦٢٠٤ آيات، ستة آلاف ومائتين وأربع آيات[٤].

٥ - العدد الدمشقى:

هو ما رواه يحيى الذماوى عن عبد الله بن عامر اليحصبى (ت ١١٨هـ) عن أبى الدرداء (ت ٣٣هـ - رضى الله عنه). وينسب هذا العدد إلى عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ - رضى الله عنه).

وعدد الآى عنده ٦٢٢٧ آية، ستة آلاف ومائتين وسبع وعشرون آية. وقيل: ٦٢٢٦ آية، ستةآلاف ومائتين وست وعشرون آية[٥].

(١ - ٢) انظر: بشير اليسر ص ١٨، ١٩، ونفائس البيان ص٦.

(٣) انظر: بشير اليسر ص٢١، ونفائس البيان ص٧.

(٤ - ٥) انظر: بشير اليسر ص٢٠، ونفائس البيان ص٧.

٦ - العدد الحمصى:

هو ما أضيف إلى شريح بن يزيد الحمصى الحضرمى (ت ٢٠٣هـ). وعدد الآى عنده ٦٢٣٢ آية. ستة آلاف ومائتان واثنان وثلاثون آية[١].

٧ - العدد الكوفى:

هو ما يرويه حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ). عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) بواسطة الثقات، وعدد آى القرآن عنده ٦٢٣٦ آية، ستة آلاف ومائتين وست وثلاثون آية[٢].

وقد نظم الإمام الشاطبى (ت ٥٣٨ هـ) ذلك فقال:

ولما رأى الحفاظ أسلافهم عنوا	بها دونوها عن أولى الفضل والبر
فمن نافع عن شيبة ويزيد أول	المدنى إذا كل كوف به يقرى
وحمزة مع سفيان قد أسنداه عن	على عن أشياخ ثقات ذوى خبر
والآخر إسماعيل يرويه عنهما	بنقل ابن جماز سليمان ذى النشر
وعد عطاء بن اليسار كعاصم	هو الجحدرى فى كل ما عد للبصرى
ويحيى الذمارى للشامى وغيره	وذو العدد المكى أبى بلا نكر[٣]

(ب) معنى الآية:

للآية فى اللغة معنيان:

أحدهما: الجماعة، يقال: جاء القوم بآيتهم أى جماعتهم.

والثانى: العلامة، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ ﴾[٤] أى علامة ملكه.

فنقل هذا اللفظ واستعماله اسمًا للكلمات القرآنية، إما أن يكون من المعنى الأول، وذلك لاشتمالها على جماعة من الحروف.

---

(١) انظر: نفائس البيان ص٧.

(٢) انظر: بشير اليسر ص١٩، ونفائس البيان ص٧.

(٣) انظر: متن ناظمة الزهر ص ٥، ٦.

(٤) انظر: بشير اليسر ص٤٢.

أو من المعنى الثانى، وذلك لكونها أمارة على انقطاع الكلام، أو على صدق المخبر. وكلا المعنيين مناسب للآية القرآنية[1].

وإلى هذين المعنيين أشار الإمام الشاطبى بقوله:

والآية من معنى الجماعة أو من الـ   علامة مبناها على خير ما جدر[2]

أما معنى الآية اصطلاحًا فهو مبنى على الخلاف المتقدم فى معناها اللغوى:

١ - فعلى تقدير كونها منقولة من معنى الجماعة يقال: هى طائفة من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقًا، أو تقديرًا، غير مشتملة على مثلها، فقولنا: (طائفة من القرآن) دخل فيه كل جماعة من حروف القرآن، وبقولنا: (ذات مبدأ ومقطع) خرجت كلمات من القرآن ليس لها مبدأ ولا مقطع، إذ المراد أن تكون ذات مبدأ ومقطع علم بالتوقيف مبدؤها، ومقطعها، وبقولنا: (مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقًا) أول آية من القرآن، وآخر آية منه، لاستغناء الأولى عما قبلها تقديرًا، والثانية عما بعدها كذلك، وبقولنا: (غير مشتملة على مثلها) خرجت السورة فإنها يصدق عليها أنها طائفة من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية عما قبلها وما بعدها، ولكنها لما كانت مشتملة على آيات خرجت من التعريف[3].

٢ - وعلى تقدير أنها مأخوذة من العلامة يقال فى تعريفها: بأنها حروف من القرآن ذات مبدأ ومقطع علم بالتوقيف من الشارع جعلت دلالة وعلامة على انقطاع الكلام، أو على صدق المخبر بها، أو على عجز المتحدى بها بناء على أن التحدى يجوز بالآية الواحدة[4].

وقد أشار الإمام الشاطبى إلى هذين المعنيين بقوله:

فإما حروف فى جماعتها غنى   وإما حروف فى دلالة من يقرى[5]

---

(١) انظر: بشير اليسر ص٤٣.

(٢) انظر: متن ناظمة الزهر ص١١.

(٣ - ٤) انظر: بشير اليسر ص٤٢.

(٥) انظر: متن ناظمة الزهر ص١٢.

(جـ) فوائد معرفة الآية:

لمعرفة الآية فوائد جليلة أذكر منها ما يلى:

١ - يحتاج لمعرفة الآية لصحة الصلاة، فمن لم يكن عارفًا للآية، لا يمكنه أن يأتى بما يصحح صلاته.

٢ - يحتاج إليها للحصول على الأجرالموعود به على قراءة عدد معين من الآيات القرآنية.

٣ - كون هذه المعرفة سببًا لنيل الأجر الموعود به على تعلم عدد معين من الآيات القرآنية.

٤ - يحتاج إليها لمعرفة ما تسن قراءته بعد الفاتحة فى الصلاة، فقد قيل: لا تحصل السنة إلا بقراءة ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة، ومن يرى من الفقهاء وجوب القراءة بعد الفاتحة لا يكتفى بأقل من هذا العدد.

٥ - اعتباره لصحة الخطبة، فقد أوجبوا فيها قراءة آية تامة[١].

(د) الطرق التى تعرف بموجبها الآية:

وبيانها فيما يلى:

- **أولا:** مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا، وقصرًا.
- **ثانيا:** مشاكلة الفاصلة لغيرها بما هو معها فى السورة فى الحرف الأخير منها أو فيما قبله.
- **ثالثا:** الاتفاق على عد نظائرها فى القرآن الكريم[٢].

وقد أشار إلى هذه الأمور الشاطبى بقوله:

وليست رءوس الآى خافية على ... ذكى بها يهتم فى غالب الأمر

وما هن إلا فى الطوال طوالها ... وفى السور القصرى القصار على قدر

وكل توال فى الجميع قياسه ... بآخر حرف أو بما قبله قادر

(١) انظر: نفائس البيان ص٥، ٦.

(٢) انظر: نفائس البيان ص٥.

وجاء بحرف المد الأكثر منهما	ولا فرق بين الواو والياء فى السير
وها أنا بالتمثيل أرخى زمامه	لعلك تمطوها ذلولا بلا وعر
كما العالمين الدين بعد الرحيم نستعين	عظيم يؤمنون بلا كدر
سجى والضحى ترضى فآوى وما ولد	كبد والبلد يولد مع الصمد البر[١]

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن:

لقد انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن فى سورها على النحو الموجود الآن فى سائر المصاحف كان بتوقيف من النبى ﷺ عن «جبريل» - عليه الصلاة والسلام -، عن رب العزة - جل جلاله -.

وأنه لا مجال للاجتهاد والرأى فيه[٢].

وقد استند هذا الإجماع إلى نصوص كثيرة دالة على أن ترتيب آيات القرآن توقيفى إجمالا وتفصيلا.

فمن هذه النصوص:

١ - ما أخرجه البخارى (ت ٢٥٦هـ): عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ) قال: قلت لعثمان بن عفان (ت ٣٥هـ):

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

نسختها الآية الأخرى[٣] فلم تكتبها أو تدعها[٤] قال: يا ابن أخى لا أغير شيئًا من مكانه. اهـ[٥]. فهذا الحديث صريح فى أن إثبات هذه الآية فى مكانها من

(١) انظر: متن ناظمة الزهر ص٩، ١٠. (٢) انظر: الإتقان (١٧٢/١).

(٣) وهى قوله - تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٤) هذا شك من الراوى هل قال لك تكتبها؟ أو قال لم تدعها أى تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة؟ وكان ابن الزبير يظن أن ما نسخ حكمه تنسخ تلاوته.

(٥) انظر: الإتقان (١١٢/١)، وتاريخ المصحف ص ١١٥، ١١٦.

سورتها توقيفى، لا يستطيع عثمان أن يتصرف فيه، لأنه وجدها مكتوبة فى المصحف المنقول مما كتب بين يدى رسول الله ﷺ، فلم يغيرها عن مكانها، لأن هذا أمر لا مجال للرأى والاجتهاد فيه.

٢ - ومنها ما رواه مسلم (ت ٢٦١هـ) عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنه) قال: ما سألت النبى ﷺ عن شىء أكثر مما سألته عن الكلالة[1] حتى طعن بإصبعه فى صدرى وقال: «تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء» اهـ[2].

فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة ومعلومة الترتيب فى حياة رسول الله ﷺ، وكان معلومًا ما هو مقدم منها وما هو مؤخر.

ولذلك قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - لعمر تكفيك آية الصيف التى فى آخر النساء، فدله على موضع هذه الآية من سورتها، وهى قوله - تعالى -: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦]. إلى آخر السورة.

وإنما سميت هذه الآية آية الصيف لأن نزولها كان فى الصيف فى سفر حجة الوداع.

٣ - ومنها ما رواه مسلم (ت ٢٦١هـ) عن أبى الدرداء (ت ٣٣هـ) مرفوعًا: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» اهـ.

وفى لفظ آخر: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف»[3].

٤ - ومنها ما رواه البخارى (ت ٢٥٦ هـ) عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: قال النبى ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه» اهـ[4].

---

(١) الكلالة: هو من مات وليس له ولد ولا والد، انظر: تفسير الجلالين ص٨٧.

(٢) انظر: الإتقان (١/١٧٣)، وتاريخ المصحف ص١١٦.

(٣) انظر: الإتقان (١/١٧٣)، وتاريخ المصحف ص١١٧.

(٤) انظر: تاريخ المصحف ص١١٦.

فالحديث صريح فى أن تعيين موضعهما كان بتعليم الرسول ﷺ.

٥ - ومنها ما ثبت فى السنن الصحيحة أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاته بالسور المتعددة فمن ذلك:

(أ) ما ورد فى البخارى (ت ٢٥٦هـ) من قراءته - عليه الصلاة والسلام - سورة الأعراف فى صلاة المغرب.

(ب) وروى النسائى (ت ٣٠٣هـ) أنه قرأ سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ فى صلاة الصبح.

(جـ) وفى مسلم قرأ سورة الجمعة وسورة المنافقون فى صلاة الجمعة.

(د) وروى مسلم أيضًا أنه قرأ سورة ق فى الخطبة[1] إلى غير ذلك، وكان - عليه الصلاة والسلام - يقرأ هذه السور وغيرها من باقى سور القرآن مرتبة الآيات بمشهد من الصحابة، وقد تلقوا عنه ترتيب الآيات فى سورها.

وما كان الصحابة ليرتبوا آيات القرآن ترتيبًا مخالفًا لترتيب الرسول ﷺ، وهم أحرص الناس على اتباع النبى - عليه الصلاة والسلام -.

ومن أقوال العلماء الدالة على أن ترتيب آيات القرآن كان بتوقيف من النبى ﷺ ما يلى:

١ - قال القاضى أبو بكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ): ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان «جبريل» يقول: «ضعوا آية كذا فى موضع كذا» اهـ.

٢ - وقال أيضًا: الذى نذهب إليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله، وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو الذى بين الدفتين الذى حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شىء ولا زيد فيه شىء، وأن ترتيبه،

(١) انظر: تاريخ المصحف ص١١٧.

ونظمه ثابت على ما نظمه الله ـ تعالى ـ ورتبه من آى السور، لم يقدم ـ من ذلك ـ مؤخر، ولا أخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبى ﷺ ترتيب آى كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءة، وذات التلاوة.. اهـ[1].

٣ ـ وقال ابن الحصار (ت ٦١١هـ)[2]: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى، كان رسول الله ﷺ يقول: «ضعوا آية كذا فى موضع كذا» وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف.. اهـ[3].

٤ ـ وقال البغوى (ت ٥١٠ هـ)[4]: إن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا، أو نقصوا منه شيئًا، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ، من غير أن قدموا شيئًا، أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف «جبريل» إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا، فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه، فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله ـ تعالى ـ جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقًا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.. اهـ[5].

---

(١) انظر: الإتقان (١٧٥/١)، تاريخ المصحف ص١١٨، ١١٩.

(٢) هو: على بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى، الخزرجى، أبو الحسن الحصار الإشبيلى، من خيرة العلماء جاور بمكة، وبمصر، له عدة مؤلفات فى أصول الفقه والناسخ والمنسوخ، والبيان فى تنقيح البرهان. توفى بالمدينة المنورة عام ٦١١هـ، انظر: الأعلام .

(٣) انظر: الإتقان.

(٤) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، الملقب محيى السنة، أبو محمد البغوى، عالم بالتفسير، والحديث، والفقه، له عدة مصنفات، منها: معالم التنزيل فى التفسير، والتهذيب فى الفقه، وشرح السنة فى الحديث (ت ٥١٠ هـ)، انظر: وفيات الأعيان (١٨٢/١)، وطبقات السبكى (٢١٤/٤).

(٥) انظر: الإتقان (١٧٥/١)، وتاريخ المصحف ص١١٨.

تعقيب:

لقد ثبت من هذه النصوص المتعددة، وغيرها أن ترتيب آى كل سورة على ما هى عليه الآن فى المصحف تلقاه الصحابة - رضى الله عنهم -، عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام -، وتلقاه الرسول ﷺ عن «جبريل»، عن الله - تعالى - من هذا يكون ترتيب الآيات حسبما هى عليه الآن توقيفًا لا مجال للنظر فيه، ولا محل للرأى والاجتهاد.

ويؤخذ من هذه النصوص أيضًا أنه كما يجب ترتيب الآيات فى التلاوة، يجب ترتيبها فى الكتابة، وهذا الأمر مجمع عليه أيضًا. والله أعلم.

فإن قيل: هل ترتيب الآيات كما هى موجودة الآن فى المصاحف، هو بعينه ترتيب النزول؟ أو هذا ترتيب وذلك ترتيب آخر؟

أقول: إن ترتيب الآيات كما هى عليه الآن مغاير لترتيب النزول.

والدليل على ذلك أن الله - تعالى - أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم أنزله على نبيه «محمد» ﷺ مفرقًا فى بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية تنزل جوابًا لمستخبر. كل ذلك على حسب المصالح.

ومما لا شك فيه أن نزول الآيات كان مغايرًا للكيفية التى هى عليها الآن.

ومن شواهد ذلك ما يلى:

أولا: فى القرآن الكريم آيات مدنية نزلت بعد الهجرة، إلا أنها أثبتت وكتبت فى سور مكية نزلت قبل الهجرة.

مثال ذلك:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ فى سورة الأنعام:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

إلى آخر الآيات الثلاث، فإن هذه الآيات قد صح النقل بأنها مدنية بعد الهجرة وقد ألحقت بسورة الأنعام وهى مكية.

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ فى سورة النحل:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ [النحل: ١٢٦].

الآيات الثلاث إلى آخر السورة، فإن هذه الآيات نزلت بعد الهجرة، وقد ألحقت بسورة النحل وهى مكية نزلت قبل الهجرة.

ثانياً: هناك آيات مكية نزلت قبل الهجرة، ولكنها ألحقت بسورة مدنية نزلت بعد الهجرة.

مثال ذلك:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ فى سورة الأنفال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

فقد ورد عن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنه) أنها نزلت عقب إسلام عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) ومعلوم أن إسلام عمر كان بمكة بعد البعثة النبوية بقليل، ومع كون هذه الآية مكية فقد ألحقت بسورة الأنفال وهى مدنية.

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] إلى آخرها، فهذه الآية نزلت قبل الهجرة وهى مكية، إلا أنها ألحقت بسورة البقرة وهى مدنية.

ومن شواهد ذلك أيضًا:

أن بعض الآيات يكون ناسخًا للبعض الآخر، ومما لا شك فيه أن المنسوخ يكون متقدمًا فى النزول على الناسخ، إلا أننا نجد الناسخ مثبتًا فى المصحف ومتقدمًا على المنسوخ.

مثال ذلك:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية [البقرة: ٢٣٤].

فإن هذه الآية ناسخة الحكم الذى تضمنته آية أخرى فى سورة البقرة أيضًا وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٠].

من هذا يتبين أن ترتيب التلاوة والكتابة مغاير لترتيب النزول.

(و) عدد كلمات القرآن:

لقد اختلف العلماء فى العدد الإجمالى لكلمات القرآن الكريم.

١ ـ فقال بعضهم: هو سبعة وسبعون ألف كلمة، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة.

٢ ـ وقال بعضهم: هو سبعة وسبعون ألف كلمة، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة.

٣ ـ وقال البعض الآخر: هو سبعة وسبعون ألف كلمة، ومائتان وسبع وسبعون كلمة[1].

فإن قيل: ما سبب هذا الاختلاف؟

أقول: لعل السبب فى ذلك أن بعضهم اعتبر أمثال قوله ـ تعالى ـ: ﴿فى السماء﴾ كلمة واحدة، وبعضهم اعتبرها كلمتين.

* * *

(١) انظر: الإتقان ص ١٩٧.



الفصل الثالث

كتابة القرآن الكريم

أولا : كتابة القرآن بين يدى النبى ﷺ.

ثانيًا : جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه ..

ثالثًا : كتابة القرآن فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه ..

أولا : كتابة القرآن فى العهد النبوى الشريف
(مدرسة النبى ﷺ) وما يتصل بذلك

لقد اعتاد الكثيرون من العلماء قديمًا وحديثًا أن يعنونوا لهذا المبحث بقولهم: «جمع القرآن» ثم بعد ذلك يقولون:

يطلق الجمع ويراد به أحد معنيين :

- **المعنى الأول:** جمعه بمعنى حفظه، وجُمّاعُ القرآن: حفاظه.
- **المعنى الثانى:** جمع القرآن بمعنى كتابته.

وقد تحقق كلا المعنيين فى عهده ﷺ.

ولما كان المقصود فى هذا المقام هو «كتابة القرآن» فقد آثرت أن أعنون به، مخالفًا فى ذلك الكثيرين من الكتاب.

ومما هو ثابت أن القرآن كان ينزل على النبى ﷺ فيحفظه، ويبلغه للناس ويأمر كتاب الوحى بكتابته، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته فيقول لهم:

«ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وضعوا هذه الآية بإزاء تلك الآية».

وكان النبى ﷺ يعارض «جبريل» بالقرآن مرة فى شهر رمضان من كل عام. فلما كان العام الذى قبض فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عارضه به مرتين.

ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوبًا فى العصر النبوى.

والخلاصة أجد عدة أسئلة تطرح نفسها وتتطلب الإجابة عليها. وإليك هذه الأسئلة التى ستشمل جوانب هذه القضية:

(أ) فإن قيل: نريد بيان الصحابة الذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

أقول:

لقد اشتهر بكتابة القرآن بين يديه ﷺ الصحابة الآتية أسماؤهم:

١ - أبو بكر الصديق (ت ١٣هـ - رضى الله عنه).

٢ - عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنه).

٣ - عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ - رضى الله عنه).

٤ - على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه).

٥ - زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ - رضى الله عنه).

٦ - أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ - رضى الله عنه).

٧ - معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ - رضى الله عنه).

٨ - خالد بن الوليد (ت ٢١هـ - رضى الله عنه).

٩ - أبان بن سعيد (ت ١٣هـ - رضى الله عنه).

١٠- ثابت بن قيس (ت ١٢هـ - رضى الله عنه).

(ب) فإن قيل: وما الوسائل التى كانوا يكتبون عليها فى هذا العهد المبكر؟

أقول:

مما هو ثابت تاريخيًا أن صناعة الورق لم تبدأ فى الظهور إلا فى عهد قريب.

لذلك فقد كان الكتّاب فى العصور المتقدمة وقبل ظهور الورق يختلفون فى الوسائل التى يسجلون عليها أفكارهم، وتاريخهم... إلخ.

فمنهم من كان يستخدم فى ذلك الأحجار فينقش عليها كل ما يريد، وهذا ما تم اكتشافه فى كثير من الآثار القديمة منذ آلاف السنين.

ومنهم من كان يستخدم الجلود، أو غيرها لهذا الهدف النبيل.

أما كتّاب القرآن الكريم فإن التاريخ يحدثنا أنهم كانوا يكتبون القرآن على الوسائل الآتية:

١ ـ العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، فكانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض منه.

٢ ـ اللخاف: جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء، وهى الحجارة الرقاق.

٣ ـ الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو غيره.

٤ ـ الكرانيف: جمع كرنافة، وهى أصول السعف الغلاظ.

٥ ـ الأكتاف: جمع كتف، وهو عظم عريض فى كتف الحيوان، كانوا يكتبون عليه بعد أن يجف.

٦ ـ الأقتاب: جمع قتب، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

٧ ـ الأضلاع: جمع ضلع، وهو عظم الجنبين.

(جـ) فإن قيل: هل كان القرآن كله مجتمعاً فى مصحف واحد؟

أقول:

إن التاريخ يحدثنا بأن النبى ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوبًا، غير أنه لم يكن مجتمعًا فى مصحف واحد، ولا موجودًا فى مكان واحد.

بل كان مفرقًا لدى الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ. وكان الصحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة.

(د) فإن قيل: لماذا لم يكتب القرآن كله فى مصحف واحد؟

أقول:

لم يأمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بجمع القرآن فى مصحف واحد لأحد أمرين:

• الأمر الأول:

إن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره عن ظهر قلب.

وقد حفظ القرآن الكريم كله عدد من الصحابة تعرضت لذكرهم بالتفصيل فى هذا الفصل، أثناء الحديث عن مدرسة النبى ﷺ.

- **الأمر الثانى:**

ما كان يترقبه الرسول - عليه الصلاة والسلام - من ورود زيادة أو ناسخ لبعض آياته. ولأن كتابته فى مصحف واحد والحالة هكذا، كان سيقضى بلا شك إلى تغيير فى كل وقت.

ولهذا تأخرت كتابته وجمعه فى مكان واحد إلى أن تم نزوله، ولم يعرف ذلك إلا بوفاته - عليه الصلاة والسلام -..

وبهذا يفسر ما روى عن زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ) أنه قال: قبض رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع فى شىء.

أى: لم يكن جمع مرتب الآيات والسور فى مصحف واحد.

وفى هذا المعنى يقول الخطابى (ت ٣٨٨هـ): إنما لم يجمع ﷺ القرآن فى المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه، أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته - عليه الصلاة والسلام -، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر.. اهـ[١].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: الإتقان (١/١٦٤).

ثانياً: جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ

ويشتمل على ما يأتى:

(أ) فإن قيل: ما الأسباب التى جعلت أبا بكر يأمر بجمع القرآن الكريم؟

أقول:

مما هو معلوم لدى الجميع أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ قام بأمر الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد واجهته أحداث خطيرة، أجلها وأعظمها ارتداد ضعاف المسلمين عن الإسلام، وامتناع بعض القبائل العربية عن دفع الزكاة له.

أمام هذه الأمور العظيمة لم يكن أمام أبى بكر سوى محاربة المرتدين، فجهز الجيوش وأوفدها لمحاربة هؤلاء المرتدين حتى يعودوا إلى حظيرة الإسلام.

وكانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنتى عشرة للهجرة تضم عددًا كبيرًا من حفاظ القرآن الكريم.

ويحدثنا التاريخ أنه استشهد من حفاظ القرآن فى هذه الغزوة نحو سبعين، فلما بلغ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ذلك الخبر هاله الأمر، وفزع لذلك فزعًا شديدًا، فدخل على أبى بكر وأخبره الخبر، وبين له ما يخشاه من ضياع القرآن إذا كثر القتل فى قراء القرآن.

واقترح على أبى بكر أن يعمل على جمع «القرآن» فتردد أبو بكر أولا، لأنه خشى أن يكون ذلك الصنيع أمرًا مستحدثًا.

وبعد نقاش طويل بينهما اقتنع أبو بكر بوجهة نظر عمر واقتنع بصواب رأيه وتجلى له وجه المصلحة العامة فى ذلك.

فأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت يدعوه إلى جمع القرآن فى مكان واحد. وقد تم اختيار أبى بكر لزيد بعد استشارة عمر بن الخطاب فى ذلك.

فلما حضر زيد عرض عليه أبو بكر فكرة جمع القرآن، وطلب منه أن يقوم هو بتنفيذها ويتولاها بنفسه.

إلا أن زيدًا تردد فى بداية الأمر، وخشى أن يكون ذلك أمرًا مستحدثًا. ولكن بعد نقاش بين كل من أبى بكر وعمر من جانب وزيد من جانب آخر، اقتنع بفكرة جمع القرآن وأدرك صحتها وصوابها، ثم شرع فى تنفيذها حتى أتمها على أكمل وجه.

وفى هذا المعنى يروى البخارى (ت ٢٥٦هـ) عن زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ)، فيقول: قال زيد بن ثابت: أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر[١] بقُرَّاء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير.

فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرونى به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح به صدرى أبى بكر وعمر.

فتتبعت القرآن أجمعه من:

العسب، واللخاف، وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩][٢] حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند «حفصة بنت عمر» اهـ[٣].

---

(١) استحر أى: اشتد.

(٢) انظر: تاريخ المصحف ص ٤٧، ٤٨، ومباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص١٢٦.

(٣) انظر: الإتقان (١٦٤/١، ١٦٥).

(ب) فإن قيل: لماذا اختار أبو بكر زيداً بن ثابت لجمع القرآن؟

أقول:

من يقف على سيرة زيد العطرة يمكنه أن يعرف بسهولة الجواب على هذا السؤال.

فهو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى، خارجة الخزرجى. كان شابًا ذكيًا تعلم السريانية فى تسعة عشر يومًا، وحفظ القرآن كله عن ظهر قلب فى حياة النبى - عليه الصلاة والسلام -، وكان من كُتاب الوحى لرسول الله ﷺ مشهورًا بالصدق والعفة، والأمانة، وتعلم، وتفقه فى الدين، حتى أصبح رأسًا بالمدينة فى القضاء، والفتوى، والقراءة، والفرائض.

قال فيه النبى ﷺ: «أفرض أمتى زيد بن ثابت» (ت ٤٥هـ)[1].

(جـ) فإن قيل: نريد معرفة طريقة زيد فى جمع القرآن مع بيان المصادر التى اعتمد عليها فى ذلك.

أقول:

لما شرع زيد بن ثابت - رضى الله عنه - فى جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر - رضى الله عنه -، اعتمد فى ذلك على مصدرين:

المصدر الأول:

ما كان محفوظًا فى صدور الرجال، علمًا بأنه كان من حفاظه.

المصدر الثانى:

ما كان مكتوبًا فى عهد النبى - عليه الصلاة والسلام -.

وكان يستوثق من ذلك المكتوب غاية التوثيق، حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدى رسول الله ﷺ. وأنه مما ثبت فى العرضة الأخيرة. وأنه لم تنسخ تلاوته.

ولذلك لم يكن يقبل شيئًا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٢٩/١)، والإصابة (٥٦١/١)، وغاية النهاية (٢٩٦/١)، وتهذيب التهذيب (٣٩٩/٣).

يرشد إلى ذلك ما يلي:

١ ـ أخرج ابن أبى داود (ت ٣١٦هـ)[١] من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف، والألواح، والعسب.

فكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان، وهذا يدل على أن زيدًا كان لا يكتفى بمجرد وجوده مكتوبًا حتى يشهد به من تلقاه سماعًا مع كون زيد كان يحفظه.

فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط.. اهـ[٢].

٢ ـ وأخرج ابن أبى داود أيضًا، من طريق هشام بن عروة (ت ١٤٦هـ)[٣] عن أبيه، أن أبا بكر قال لعمر وزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه.. اهـ[٤].

قال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، معقبًا على هذا الخبر: وكأن المرادبالشاهدين الحفظ، والكتابة[٥].

وقال السخاوى (٦٤٣ هـ)[٦]: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ.

أو المراد أنهما يشهدان على أن تلك من الوجوه التى نزل بها القرآن.. اهـ[٧].

---

(١) هو: عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق، الأزدى السجستانى، أبو بكر بن أبى داود، وكان من كبار حفاظ الحديث، له عدة مصنفات (ت ٣١٦هـ)، انظر: تاريخ بغداد (٤٦٤/٩)، ولسان الميزان (٢٩٣/٣)، وغاية النهاية (٤٢٤/١).

(٢) انظر: الإتقان (١٦٦/١)، ومباحث القرآن ص١٢٧، وتاريخ المصحف ص٤٩.

(٣) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أبو المنذر، من التابعين، ومن كبار العلماء وأئمة الحديث (ت ١٤٦هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٢٥٧/٢)، وتذكرة الحفاظ (١٣٩/١).

(٤) انظر: الإتقان (١٦٧/١)، ومباحث فى علوم القرآن ص١٢٧.

(٥) انظر: المصدرين السابقين.

(٦) هو: ى بن محمد بن عبد الصمد الهمذانى المصرى الشافعى، أبو الحسن عالم بالقراءات واللغة، والتفسير والفقه (ت ٦٤٣هـ)، انظر: أنباء الرواة (٣١١/٢)، وطبقات السبكى (١٢٦/٥).

(٧) انظر: الإتقان (١٦٧/١)، ومباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص١٢٧.

وقال أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ)[١]: وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ، ولذلك قال زيد فى آخر سورة التوبة: لم أجدها مع غيره.

أى: لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة.. اهـ[٢].

وقال السيوطى (ت ٩١١هـ): أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته.. اهـ[٣].

(د) فإن قيل: هل يعتبر جمع القرآن فى عهد أبى بكر أمراً مستحدثًا؟

أقول:

من يمعن النظر فى هذا الأمر لا يستطيع الحكم عليه بأنه من البدع المستحدثة ولا من الأمور التى ليس لها أصل من عمل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

بل يحكم عليه بأنه مستمد من القواعد التى وضعها الرسول ﷺ بتشريع كتابة القرآن، واتخاذ كتاب يكتبون له الوحى المنزل.

وفى هذا يقول الحارث المحاسبى (ت ٢٤٣هـ)[٤]: كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقًا فى الرقاع والأكتاف، والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعًا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء.. اهـ[٥].

(هـ) فإن قيل: ما هو موقف الصحابة من صنيع أبى بكر؟

أقول: لقد كان الصحابة جميعًا ـ رضوان الله عليهم ـ مؤيدين وموافقين لصنيع أبى بكر هذا.

والدليل على ذلك ما يلى:

أولا: لم يحدثنا التاريخ أن أحدًا من الصحابة كان غير موافق لهذا الصنيع.

(١) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى، المؤرخ المحدث، له عدة مؤلفات منها: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، وشرح الشاطبية فى القراءات، (ت ٦٦٥هـ). انظر: الأعلام (٤/٧٠).

(٢ ـ ٣) انظر: الإتقان (١/١٦٧).

(٤) هو: الحارث بن أسد المحاسبى من خيرة العلماء، وله عدة مصنفات (ت ٢٤٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/١٢٦).

(٥) انظر: الإتقان (١/١٦٨)، وتاريخ المصحف ص٥٠.

ثانيًا: كان كل صحابى عنده شىء من القرآن يلبى الفكرة ويأتى بما كان مكتوبًا عنده ويقدمه إلى زيد بن ثابت بنفس طيبة مطمئنة.

ثالثًا : لقد كان عمر بن الخطاب صاحب الفكرة وزيد بن ثابت هو المنفذ لها وهما صحابيان جليلان لهما وزنهما ووضعهما الاجتماعى والقيادى بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم..

رابعًا : أخرج ابن أبى داود (ت ٣١٦ هـ)، عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ). قوله: أعظم الناس فى المصاحف أجرًا أبو بكر. رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله.. اهـ[١].

(و) فإن قيل: أين وضعت الصحف التى جمعها زيد وكيف كان مصيرها؟

أقول:

لقد ظلت هذه الصحف التى جمع فيها القرآن فى رعاية الخليفة الأول أبى بكر الصديق مدة خلافته.

ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثانى عمر بن الخطاب مدة خلافته.

ثم عند «حفصة» بنت عمر وأم المؤمنين بعد وفاة أبيها ـ عليه رضوان الله تعالى..

وبقيت عندها إلى أن ولى مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية (ت ٦٥هـ) المدينة المنورة فطلبها منها فأبت، فلما توفيت ـ عليها رضوان الله ـ عام ٤٥هـ حضر مروان جنازتها، ثم طلب «الصحف» من أخيها عبد الله بن عمر، فبعث بها إليه، ثم أمر مروان بإحراقها.

وقال: إنما فعلت هذا لأنى خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب.

علمًا بأنها لم تحرق إلا بعد أن كتبت المصاحف فى عهد عثمان بن عفان وكانت هذه الصحف المرجع الأصيل الذى اعتمد عليه زيد فى كتابة المصاحف[٢].

* * *

---

(١) انظر: الإتقان (١/١٦٥)، وتاريخ المصحف ص٥٠، ومباحث فى علوم القرآن ص١٢٨.

(٢) انظر: تاريخ المصحف ص٥٠.

ثالثًا: كتابة القرآن فى عهد عثمان -رضى الله عنه-

ويتصل بذلك ما يلى:

(أ) الأسباب التى جعلت عثمان يأمر بكتابة المصاحف.

اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرق القراء فى الأمصار. وأخذ أهل كل مصر القراءة عمن وفد إليهم من الصحابة.

١ - فأهل الشام يقرءون بقراءة أُبَىّ بن كعب (ت ٢٠هـ).

٢ - وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ).

٣ - وغيرهم يقرءون بقراءة أبى موسى الأشعرى (ت ٤٤هـ) وهكذا.

ومما هو معروف أن وجوه القراءة التى كانوا يقرءون بها كانت مختلفة وفقًا للأحرف التى نزلت على الرسول ﷺ.

فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الفتح عجب البعض من وجود هذا الاختلاف. وقد يقنع بأنها جميعًا مسندة إلى رسول الله ﷺ.

ولكن هذا كان لا يحول دون تسرب التساؤل بين المسلمين، وبخاصة بين الذين لم يسمعوا من النبى ﷺ مباشرة القراءات القرآنية، فيدور الكلام حول فصيح هذه القراءات وأفصحها.

كما كان بعض القراء يفخر على البعض الآخر ويقول قراءتى أفصح من قراءتك، ويرد عليه الفريق الآخر بالمثل.

وهكذا كان يؤدى ذلك إلى اللجاج، وتأثيم بعضهم بعضًا، وإنكار بعضهم على بعض.

وفى سنة خمس وعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام، وأهل العراق فى غزوتى: (أرمينية) و (أذربيجان).

وكان فيمن غزاهما حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ) فرأى اختلافًا كثيرًا بين المسلمين فى وجوه القراءة، وسمع ما كانت تنطق به ألسنتهم من كلمات التجريح

والتأثيم، فاستعظم ذلك حذيفة، ففزع إلى عثمان ـ رضى الله عنه ـ، وأخبره بما رأى، وقال له: أدرك الناس قبل أن يختلفوا فى كتابهم الذى هو أصل الشريعة، ودعامة الدين، كما اختلف اليهود والنصارى.

فأدرك عثمان بثاقب نظره، وحصافة رأيه أن هذه الفتنة إن لم تعالج بالحكمة والحزم ستجر ـ لا محالة ـ إلى أسوأ العواقب، ففكر فى علاجها قبل أن يستفحل خطرها، ويتفاقم شرها.

فجمع أعلام الصحابة، وذوى الرأى منهم، وأخذوا يبحثون عن علاج لهذه الفتنة.

فأجمعوا رأيهم على أن تنسخ الصحف الأولى التى جمعها زيد بن ثابت على عهد أبى بكر الصديق فى مصاحف متعددة، ثم يرسل إلى كل مصر مصحف منها يكون مرجعًا للناس عند الاختلاف، موئلاً عند التنازع، وعلى إحراق كل ما عدا هذه المصاحف، وبذلك يستأصل دابر الخلاف وتجتمع الكلمة، وتوحد الصفوف.

(ب) فإن قيل: نريد أن نعرف الصحابة الذين انتدبهم عثمان للقيام بمهمة كتابة المصاحف.

أقول:

لقد انتدب عثمان ـ رضى الله عنه ـ للقيام بهذه المهمة الخطيرة أربعة من خيرة الصحابة، ومن حفاظ القرآن وهم:

١ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ) ـ رضى الله عنه ـ، وهو من الأنصار، ومن كتاب الوحى للنبى ﷺ، وهو الذى قام بمهمة جمع القرآن لأول مرة زمن خلافة أبى بكر الصديق.

٢ ـ عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ).

٣ ـ سعيد بن العاص (ت ٥٨ هـ).

٤ ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (ت ٤٣هـ).

وهؤلاء الثلاثة قرشيون[١]. وهذا هو الرأى الراجح الذى عليه الجمهور[٢].

---

(١) انظر: مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص١٢٩، وتاريخ المصحف ص٥٢.

(٢) وقيل: إن الصحابة الذين انتدبوا لهذه المهمة اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، منهم أُبَى بن كعب (ت ٣٠هـ) ـ رضى الله عنه ـ.

(جـ) قانون عثمان والصحابة فى كتابة المصاحف:

لقد اتبع كل من عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ، والصحابة المكلفون بنسخ المصاحف الأمور الآتية أثناء كتابة المصاحف:

أولاً: اعتبار الصحف التى جمعها زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ المصدر الأساسى فى هذه المهمة الخطيرة.

فقد أرسل عثمان إلى «حفصة» بنت عمر أم المؤمنين ـ رضى الله عنهما ـ وقال لها: أرسلى إلينا بالصحف التى عندك لننسخها ثم نردها إليك.

فما كان من «حفصة» إلا أن استجابت لذلك وأرسلت بالصحف إليهم.

ثانياً: قال عثمان بن عفان للصحابة القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى شىء من القرآن[1]، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم.

ولم يحدثنا التاريخ أنهم اختلفوا فى شىء إلا فى كلمة «التابوت» من قوله ـ تعالى ـ:
﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] الآية.

فقال زيد تكتب بالهاء هكذا «التابوه» وقال القرشيون الثلاثة: تكتب بتاء هكذا «التابوت». فرفعوا الأمر إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوها بالتاء المفتوحة، وفقًا للغة قريش.

ثالثًا: كان الكُتاب لا يكتبون فى المصاحف شيئًا إلا بعد أن يعرضوه على مشاهير الصحابة، ويشهد الجميع بأنه قرآن، وأنه لم تنسخ تلاوته، وأنه استقر فى العرضة الأخيرة.

من هذا يتبين أنهم لم يكتبوا ما نسخت تلاوته وهو ما لم يثبت فى العرضة الأخيرة. كما لم يكتبوا ما كانت روايته آحادًا.

(١) أى: فى كيفية كتابته.

وقد أتم الصحابة نسخ المصاحف بإشراف عثمان وأعلام الصحابة من المهاجرين، والأنصار، وقد كتبوا مصاحف متعددة[1]، وكانت هذه المصاحف متفاوتة فى الحذف، والإثبات، والزيادة، والنقص، وغير ذلك.

والهدف من ذلك أنها جعلت مشتملة على الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم، وكانت خالية من النقط والشكل، لأن كلا منهما لم يكن قد استحدث بعد، وهذا مما كان يساعد على تحقيق هذا الهدف.

فالكلمات التى اشتملت على أكثر من قراءة، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من قراءات، كتبوها برسم واحد فى جميع المصاحف. وذلك نحو: يعلمون بالياء - والتاء.

ويقول - بالياء - والنون ، فتبينوا - فتثبتوا، ننشزها - وننشرها... إلخ.

أما الكلمات التى ورد فيها أكثر من قراءة وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات فلم يكتبوها برسم واحد فى جميع المصاحف.

وإنما كتبوها فى بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفى بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى، مثال ذلك:

١ - قوله - تعالى -: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٢] كتب فى بعض المصاحف «ووصى» بواوين من غير ألف بينهما.

وفى البعض الآخر «وأوصى» بإثبات ألف بين الواوين.

٢ - قوله - تعالى -: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] كتب فى بعض المصاحف «وسارعوا» بإثبات الواو قبل السين.

وفى البعض الآخر بدون الواو.

٣ - وقوله - تعالى -: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد: ٢٤] كتب فى بعض المصاحف «هو الغنى» بإثبات لفظ هو.

(١) سأبين عدد المصاحف التى تم نسخها فيما بعد.

وفى البعض الآخر بحذف لفظ هو. وهكذا فى باقى الكلمات المماثلة لذلك[1].

ولما أتم الصحابة نسخ المصاحف وفقًا لما سبق بيانه، أعاد عثمان الصحف إلى حفصة[2] وأرسل إلى كل أفق من الآفاق الإسلامية مصحفًا مما نسخه الصحابة[3]، وأمر عثمان بإحراق كل ما عدا المصاحف التى كتبها الصحابة.

وذلك سدًا لباب الفتنة وحسمًا للنزاع[4].

(د) فإن قيل: نريد بيان عدد المصاحف التى نسخها الصحابة، مع بيان الأمصار التى أرسلت إليها هذه المصاحف.

أقول:

لقد اختلف فى ذلك على قولين:

• القول الأول:

وهو أشهرهما، أنها ستة، تم توزيعها كما يلى:

١ ـ مصحف أرسل إلى مكة.

٢ ـ مصحف أرسل إلى البصرة.

٣ ـ مصحف أرسل إلى الكوفة.

٤ ـ مصحف أرسل إلى الشام.

٥ ـ مصحف (ظل بالمدينة المنورة).

٦ ـ مصحف احتفظ به عثمان لنفسه[5].

---

(١) لقد تكفل بيان كل ذلك المصنفات الخاصة برسم المصاحف مثل:
١ ـ متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للخراز.
٢ ـ المقنع فى رسم المصاحف لأبى عمرو الدانى.

(٢) ظلت الصحف عند «حفصة» حتى توفاها الله ـ تعالى ـ ثم أخذها مروان بن الحكم وأمر بإحراقها.

(٣) سيأتى بيان الآفاق التى أرسلت إليها المصاحف.

(٤) لقد ثبت تاريخيًا أنه لم يتم تنفيذ إحراق كل ما عدا المصاحف التى نسخها الصحابة كما سيأتى بيانه.

(٥) انظر: تاريخ المصحف ص٥٩.

• القول الثانى:

إن عدد المصاحف ثمانية، وهى الستة المتقدمة مع زيادة مصحفين:

أحدهما أرسل إلى البحرين. **والثانى** أرسل إلى اليمن[1].

وفى هذا يروى البخارى (ت ٢٥٦ هـ) عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) أن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ - رضى الله عنه) قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود، والنصارى.

فأرسل إلى «حفصة»: أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف، ثم نردها إليك.

فأرسلت بها «حفصة» إلى عثمان فأمر زيدًا بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيدًا بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، رد عثمان الصحف إلى «حفصة».

وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق.

قال زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، فقد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى (ت ٣٧هـ): ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. **فألحقناها** فى سورتها فى المصحف اهـ[2].

---

(١) انظر: القرآن ص٨٦.

(٢) انظر: الإتقان (١/ ١٧٠)، وتاريخ المصحف ص٥٦، ومباحث فى علوم القرآن ص١٢٩.

(هـ) فإن قيل: نريد أن نعرف كيف تم إرسال المصاحف العثمانية إلى الأمصار؟

أقول:

بما أن نقل القرآن الكريم يعتمدعلى التلقى والأخذ من أفواه الشيوخ، ثقة عن ثقة، وإمامًا عن إمام، حتى يوصل السند بالنبى ﷺ وهذا هو المعبر عنه «بصحة السند» وهو أحد شروط القراءة الصحيحة[1].

لهذا لما رأى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ إرسال المصاحف إلى الأمصار أرسل مع كل مصحف أحد الأئمة القراءالخيار العدول.

مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف:

١ ـ فأمر زيدًا بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدنى.

٢ ـ وبعث عبد الله بن السائب (ت ٧٠هـ) مع المصحف المكى.

٣ ـ والمغيرة بن شهاب (ت ٩١هـ) مع المصحف الشامى.

٤ ـ وأبا عبد الرحمن السلمى (ت ٧٣هـ) مع المصحف الكوفى.

٥ ـ وعامرًا بن قيس مع المصحف البصرى[2].

(و) فإن قيل: نريد أن نعرف موقف الصحابة من صنيع عثمان ـ رضى الله عنه ـ:

أقول:

إن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قبل أن يشكل لجنة من خيرة الصحابة، وحفاظ القرآن، ويعهد إليها بنسخ المصاحف، وكتابتها على الكيفية التى سبق بيانها لم ينفرد بهذا العمل وحده، بل جمع مشاهير الصحابة وتشاور معهم فى معالجة الفتنة التى كانت سببًا فى هذا العمل الجليل.

---

(١) والشرطان الآخران هما:

الأول: أن تكون القراءة موافقة للقواعد النحوية.

والثانى: أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية.

(٢) انظر: تاريخ المصحف ص٦٠.

وهذا أشبه ما يكون بالمؤتمرات العامة التى يدعى إليها أهل الخبرة، ورجاحة العقل، وذلك أخذًا بمبدأ الشورى، وعملاً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكانت نتيجة هذا المؤتمر هى العمل على نسخ المصاحف.

من هذا يظهر بجلاء أن عثمان إنما كان منفذًا لقرار اتخذه جماهير صحابة رسول الله ﷺ وخيرتهم، ما دام الأمر كذلك لا يتصور عاقل ولا مفكر أن يكون وراء ذلك سوى الرضا، والقبول والتأييد، والإجماع، ومن يقول بغير ذلك يعتبر غير منصف، ويعتبر قوله مردودًا عليه ولا قيمة له؛ لأنه لم يقف على حقائق الأمور.

وفى هذا يقول على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): لا تقولوا فى عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا. قال: ما تقولون فى هذه القراءة؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول: إن قراءتى خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرًا.

قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: نعم ما رأيت[١].

أما عامة المسلمين من أهل الأمصار والأقاليم، فقد وقفوا من هذا العمل موقف الرضا، والقبول، والتأييد أيضًا.

وذلك لأنهم علموا أن كتابة هذه المصاحف لم تكن عملاً فرديًا، استقل به عثمان وحده.

وإنما هو عمل تم بإجماع من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قال فيهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

١ ـ «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ».

٢ ـ وقال: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٢].

لذلك فقد تلقوا هذه المصاحف بالرضا والقبول، وجعلوها مصدرهم الوحيد يقتدون بها، ويقرؤون بما جاء فيها.

(١) أخرجه ابن أبى داود بسند صحيح، انظر: الإتقان (١/١٧٩)، وتاريخ المصحف ص٦١.

(٢) انظر: تاريخ المصحف ص٦١.

(ز) فإن قيل: مما سبق تبين لنا أن القرآن الكريم مر بأحوال ثلاثة:

- **الحالة الأولى:** كتابته فى العهد النبوى.
- **الحالة الثانية:** جمعه فى عهد أبى بكر الصديق.
- **الحالة الثالثة:** كتابته فى عهد عثمان بن عفان.

ونحن نريد أن نعرف الفرق بين الأحوال الثلاثة.

أقول:

من يقرأ ما تقدم بشىء من التأمل يستطيع أن يفرق بين الأحوال الثلاثة بما يلى:

• **أولا** : كان القرآن الكريم فى العهد النبوى مكتوبًا فى العسب، واللخاف، والرقاع... إلخ. مرتب الآيات، غير مرتب السور.

وكانت هذه الأشياء متفرقة لدى الصحابة - عليهم رضوان الله تعالى - بمعنى أنه لم يثبت أن القرآن كله كان موجودًا فى مكان واحد. وقد سبق بيان الحكمة فى ذلك.

• **ثانيًا** : كان جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - عبارة عن جمع الصحف التى كان مكتوبًا عليها القرآن الكريم فى مكان واحد وحفظها عند أبى بكر خشية أن يضيع شىء من القرآن الكريم بسبب موت حفظته، وتم فى هذه الحالة ترتيب سوره.

• **ثالثًا** : كانت كتابة القرآن فى عهد عثمان بن عفان عبارة عن نُسَخِ المصحف التى تم جمعها فى عهد أبى بكر فى مصاحف متعددة، وفقًا للكيفية التى سبق تفصيلها.

وذلك كى يجتمع المسلمون على مصحف واحد.

(ح) فإن قيل: هل كانت المصاحف العثمانية التى كتبت فى عهد عثمان مشتملة على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم؟

أقول:

هذه القضية من أهم القضايا القرآنية التى تحتاج إلى مزيد من الاهتمام، لأنه مما يؤسف له أن بعض من لا يعرفون من العلم إلا السراب، يجرون خلف آراء باطلة، لا وزن لها، لأنها ينقصها الدليل الصحيح، والبرهان الساطع، والحجة القوية والاستنتاج السليم المبنى على صحة المقدمات وعدم فساد النتائج.

وبالتتبع وجدت هناك قولين للعلماء:

•• أولهما:

وهو قول ضعيف باطل، وينبغى ألا يعول عليه، لأن اعتقاد صحته هدم للقراءات القرآنية التى نزل بها القرآن، ووصلتنا بطريق التواتر والنقل الصحيح.

وهذا الرأى يتلخص فى أن المصاحف العثمانية ليس فيها سوى حرف واحد من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، وهو حرف قريش والذى ذهب إلى ذلك قلة أمثال:

١ - ابن التين[1].   ٢ - الحارث المحاسبى (ت ٢٤٣هـ).

وحجتهم فى ذلك: قول عثمان بن عفان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم.

ثم قالوا: وأما باقى الأحرف التى نزل عليها القرآن فإنما أنزلت فى ابتداء الأمر فى صدر الإسلام للتيسير على الأمة، ورفع الحرج والمشقة عنها، فى قراءة كتاب ربها لأن إلزام جميع القبائل العربية بالتزام لغة واحدة فى قراءة القرآن لم

(١) لقد بحثت فى العديد من كتب التراجم كى أقف على ترجمة لابن التين، ولكن دون جدوى فلم أحظ برغبتى، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن ابن التين كان من الشخصيات غير المشهورة بين العلماء، ويكفى ذلك دليلاً على عدم رجاحة قوله وعدم التعويل عليه.

تتعودها ألسنتهم، ولم يألفوا التكلم بها فى مخاطباتهم يوقعهم فى الإصر، والعنت والمشقة، والحرج، فتخفيفًا على الأمة، ورفعًا للحرج والمشقة عنها، وتيسيرًا عليها فى قراءة القرآن الكريم، أنزل القرآن فى بادئ الأمر على سبعة أحرف وأبيح لكل قبيلة أن تقرأه بلغتها، إلى أن تروض لسانهم وتمرن على لهجة قريش لهجة القرآن.

فلما ذللت الألسن، ومرنت على لغة قريش، وأصبح النطق بكلمات القرآن سهلاً ميسورًا على لسان كل قبيلة لم يكن ثم حاجة إلى هذه الأحرف واللغات وأمرت جميع القبائل أن تقرأ القرآن بلغة قريش خاصة.

يضاف إلى ذلك أن قراءة القرآن بهذه اللغات - غير لغة قريش - أصبحت مثار نزاع وخلاف بين المسلمين.

فلعدم الحاجة إلى هذه اللغات، ولأنها كانت سببًا فى انقسام المسلمين، ألغاها الخليفة عثمان حين كتابة المصاحف، وأمر كتاب المصاحف أن يقتصروا فى كتابتها على لغة واحدة، وحرف واحد، هى لغة قريش، وحرف قريش.

ولنستمع إلى ابن التين وهو يقول فى هذا المعنى:

جمع عثمان للقرآن كان ناسخًا له على حرف واحد من الحروف السبعة حتى جمع المسلمين على مصحف واحد، وحرف واحد، يقرؤون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى.

والفرق بين جمع أبى بكر، وجمع عثمان: أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعًا فى موضع واحد.

فجمعه فى صحائف، مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبى ﷺ وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءات حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات. فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعضه. فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبًا لسوره.

واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجًا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعًا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.. اهـ[1].

إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين، والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات.

فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن.. اهـ[2].

(الرد على أصحاب هذا الرأى):

أقول:

إن هذا الرأى يعتبر باطلاً وغير مقبول جملة وتفصيلاً، والدليل على ذلك ما يلى:

- **أولاً:** أن استدلالهم على مذهبهم الباطل بقول عثمان لكتاب المصاحف: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش إنما نزل بلسانهم، ففعلوا.

لا ينبغى أن يكون حجة لهؤلاء الذين لا يحاولون فهم الأمور على وجهها الصحيح. فعثمان ـ رضى الله عنه ـ لا يريد من كلمة (الاختلاف) فى قوله: إذا اختلفتم.. إلى آخره. إلا الاختلاف من حيث الرسم والكتابة لا من حيث جوهر الألفاظ وبنية الكلمات، يشهد لصحة ذلك قوله: فاكتبوه... إلخ.

إذًا يصبح معنى عبارة عثمان ـ رضى الله عنه ـ: إذا اختلفتم أنتم وزيد فى رسم كلمة، فاكتبوها بالرسم الذى يوافق لغة قريش ولهجتها، ويتعين حمل كلام عثمان على هذا كى يتسنى الجمع بين الأدلة والتوفيق بين النصوص.

(١ ـ ٢) انظر: مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص١٣٢.

● **ثانياً**: أن معنى قول عثمان: فإنما نزل بلسانهم، يحتمل أمرين:

(أ) أن يكون معناه: فإنما نزل بلسانهم فى بادئ الأمر، ثم أراد الله ـ تعالى ـ التخفيف والتيسير على الأمة، فأنزله بباقى الأحرف السبعة.

(ب) أو يكون معناه: أن معظمه نزل بلسان قريش، لأن هذه اللغة كانت اللغة النموذجية بالنسبة لسائر اللهجات العربية ويكون ذلك من باب إطلاق الكل وإرادة البعض، وهذا تعبير لغوى فصيح جاء به القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ [نوح: ٧].

فإن المراد: جعلوا أطراف أصابعهم.

وبناء على ذلك لا يعتبر قول عثمان: فإنما نزل بلسانهم حجة لهم على دعواهم الباطلة.

●● القول الثانى:

ذهب جمهور العلماء إلى أن المصاحف العثمانية تعتبر متضمنة القراءات القرآنية التى ثبتت فى العرضة الأخيرة.

وليس معنى ذلك أن كل مصحف بمفرده كان مشتملاً على جميع الأحرف السبعة.

بل المقصود أنها كانت فى مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة التى نزلت على النبى ﷺ.

فالأحرف السبعة منتشرة فى المصاحف التى كتبت فى عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ(١).

وأرى أن هذا القول هو الراجح، وهو الذى يطمئن إليه القلب، ويهدى إليه النظر، وترشد إليه الأدلة الصحيحة الآتية:

(١) انظر: تاريخ المصحف ص٦٣.

الدليل الأول:

أن المصاحف العثمانية تم نسخها من الصحف التى جمعها زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ..

وقد أجمع الصحابة على أن هذه الصحف قد سجل فيها ما تواتر ثبوته عن النبى ﷺ من الأحرف السبعة، واستقر فى العرضة الأخيرة. ولم تنسخ تلاوته.

فالصحف التى تم جمعها فى عهد أبى بكر تعتبر أصلاً ومصدرًا أساسيًا للمصاحف التى كتبت فى عهد عثمان ـ رضى الله عنه ..

الدليل الثانى:

لم يرد فى خبر صحيح ولا ضعيف أن عثمان أمر كتَّاب المصاحف أن يقتصروا فى كتابتها على حرف واحد، ويلغوا الأحرف الستة الباقية.

الدليل الثالث:

من يتتبع المصاحف العثمانية يجد بينها اختلافًا فى مواضع كثيرة[1]. فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وحرف واحد، وهى لغة قريش، لما كان هناك هذا الاختلاف.

فوجود الاختلاف فى الرسم بين المصاحف العثمانية من الأدلة القاطعة على أنها لم تكتب بحرف واحد ـ كما ذهب إلى ذلك أصحاب المذهب الأول المردود ـ بل كتبت متضمنة للأحرف السبعة التى ثبتت فى العرضة الأخيرة.

- **فائدة:**

تتبع الإمام ابن عاشر الكلمات القرآنية التى اختلفت المصاحف العثمانية فى رسمها ـ وتتميمًا للفائدة فقد رأيت أن أذكر الأبيات التى نظمها عبد الواحد بن عاشر. ليتبين من خلالها الكلمات القرآنية التى اختلفت المصاحف العثمانية فى رسمها.

(١) لقد تكفلت المصنفات الخاصة بالرسم العثمانى ببيان هذه الكلمات بالتفصيل فليرجع إليها من يشاء.

ومن المعلوم أن المصاحف العثمانية ست وهى:

الأول: الإمام، وهو المصحف الذى احتبسه عثمان لنفسه.

الثاني: المدنى، وهو المصحف الذى كان بأيدى أهل المدينة.

الثالث: المكى، وهو المصحف الذى بعث به عثمان إلى أهل مكة.

الرابع: الشامى، وهو المصحف الذى بعث به عثمان إلى أهل الشام.

الخامس: الكوفى، وهو المصحف الذى بعث به عثمان إلى أهل الكوفة.

السادس: البصرى، وهو المصحف الذى بعث به عثمان إلى أهل البصرة.

قال ابن عاشر:

بحمد ربه ابتدا ابن عاشر ... مصليًا على النبى الحاشر[1]

هاك زوائدا لمورد تفى ... بالسبع معه من خلاف المصحف

المدنى والمكّ والإمام ... والكوف والبصرى معًا والشام

فارسم لكل قارئ منها بما ... وافقه إن كان مما لزما

من سورة الحمد للأعراف اعرفا ... فباء إبراهيم فى البكر احذفا[2]

لغير حرمىّ وقالوا اتخذا ... بحذف شام واوه أوصى خذا

للمدنيّين وشام بالألف ... يقاتلون تلو حق مختلف

والملك والعراق واوا سارعوا ... بالزبر الشامى بباء شائع

كذا الكتاب بخلاف عنهم ... والشام ينصب قليلا منهم

واو يقول للعراقى فزد ... والمدنيان وشام يرتدد

---

(١) الحاشر: من أسماء النبى ﷺ، فقد جاء فى الموطأ عن محمد بن مطعم أن النبى ﷺ قال: «خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب» اهـ. انظر: دليل الحيران مع تنبيه الخلان ص٤٤٨.

(٢) المراد بالبكر: سورة البقرة.

للدار للشام بلام وهنا ... قد حذف الكوفى تا أنجيتنا

وشركاؤهم ليردوهم بيا ... للشام فى محل همز أبديا

فى ساحر العقود مع هود اختلف ... وأول بيونس كذا ألف

من سورة الأعراف حتى مريم ... تذكرون الشام ياء قدما

واو ما كنا له أبينا ... بعكس قال بعد مفسدينا

بكل ساحر معاهل بالألف ... وهل يلى الحا أو قبيلها اختلف

بالألف الشام إذا نجاكم ومن ... مع تحتها آخر توبة بعن

للمك والذين بعد المدنى ... والشام لا واو بها فاستبن

كلمة الثانى بيونس هما ... بالتا وفى العراق بالها ارتسما

وفى يسيركم ينشركم ... للشام قل سبحان قال قد رسم

له وللمكى ثم منهما ... منقلبا منها العراقى رسما

معا خراجا بخلاف قد أتى ... وفخراج للجميع أثبتا

مكننى للمك نونا ثانيا ... والكل آثونى معا بغير يا

من مريم لصاد قل ذا الأول ... فى الأنبيا للكوفى قال يجعل

فى قال كم مع قال إن عكس جرى ... لا واو للمكى فى ألم ير

فى المؤمنين أخرى لله زد ... للبصر والإمام همزا اعتمد

والمك أولى نزل الفرقان ... ويأتينى النمل نونا ثانى

وحاذرن فراهين الألف ... يثبت فى بعض وبعض يحذف

فى وتوكل عوض الواو بفا ... للمدنى والشام والواو احذفا

للمك من قال موسى وألف ... لؤلؤ فاطر بخلف قد ألف

ما عملته الها لكوف نكبا ... وألف الظنونا للكل اكتبا

من صــاد للخــتم فــخلفــهــا أتى ... فى عـــبـــده تالى بكاف وبتـــا

كـلمــــــة الـطـول وتـأمـــــرونـى ... أعــبــد للشــامى مــزيد نون

أشـــد منهم هاءه كـــافـــا قلب ... والكوف أو أن يظهـر الهـمـز جلب

وسط مـصـيـبـة بمـا حـذف فـاء ... لـلمـــــدنى والـشـــــام ثم هـاء

فى تشـتـهى زاد وحـسـنا رسـمـا ... فى الكوف إحسانا فأحسن بهما

فى خاشعا باقتريت قد اختلف ... وواو ذو العــصف بشـــامى ألف

وإثر شـــين المنشــآت الألف ... وفى العــراق البـــاء منهــا خلف

وياء ثانى ذى الجـلال الشــام زد ... واوا وضم النصب فى كـلا وعــد

واحذف ضمير الفصل من هو الغنى ... من مصحف الشامى كذاك المدنى

وخلف قـــال إنمــا أدعــوا ألف ... ثانى قـوارير ببـصـر مـخـتلف

ولا يخـــاف عـــوض الواو بفـــا ... للمــــدنى والشـــام وآلان وفى

فـالحـمـد لله على حسن الخـتـام ... وللنبى أنهى صـلاتى والسـلام[1]

(تم والحمد لله)

* * *

(١) انظر: متن الأعلام ٥٤ ـ ٥٩.

الفهرس

كلمة الناشر

اقرأ الحمد لله الذى أضاء بها الكون، فقال - تعالى - :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ القائل :

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وبعد ...

فإن خير الأعمال وأجلّها عمل يصل الإنسان بربه؛ فينال به الرضا والغفران، كما قال - عز وجل - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

وانطلاقًا من هذا الوعد كانت «**دار محيسن للطباعة والنشر والتوزيع**» برًا بصاحب هذا الاسم - رحمه الله تعالى -.

قال ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ يُنتفع به، وولدٍ صالحٍ يدعو له»

هدفنا

- أن نصل إلى عقل وقلب ووجدان القارئ المسلم.
- أن نساهم فى نشر العلوم الدينية بصورة مشرقة.
- أن نساعد فى إعداد أجيال مسلمة تتفهم حقيقة دينها.
- أن نتابع نشرمؤلفات **الأستاذ الدكتورا محمد سالم محيسن** - رحمه الله -.

وسيلتنا استخدام التقنيات الحديثة فى الطباعة والنشر.

هذه أهدافنا، وهذا طريقنا، والاستمرار والانتشار سيكونان بفضل الله - تعالى - ثم بفضلك أيها القارئ العزيز.



شيوخ المؤلف

حفظ المؤلف القرآن، وجوّده، وتلقى علوم القرآن، والقراءات، والعلوم الشرعية والعربية؛ عن خيرة علماء عصره.

وهـم :

– حفظ القرآن الكريم على الشيخ : محمد السيد عَزَب.

– جود القرآن الكريم على كل من الشيخ : محمد محمود، والشيخ : محمود بكر.

– أخذ القراءات علميا عن كل من الشيخ : عبد الفتاح القاضى، والشيخ : محمود دعبيس.

– أخذ القراءات عمليا وتطبيقيا عن الشيخ : عامر السيد عثمان.

– أخذ رسم القرآن وضبطه عن الشيخ : أحمد أبو زيت حار.

– أخذ عدّ آى القرآن عن الشيخ : محمود دعبيس.

– أخذ توجيه القراءات عن الشيخ : محمود دعبيس.

– أخذ الفقه الإسلامى عن كل من الشيخ : أحمد عبد الرحيم والشيخ : محمود عبد الدايم.

– أخذ أصول الفقه عن الشيخ : يس سويلَم.

– أخذ التوحيد عن الشيخ : عبد العزيز عبيد.

– أخذ المنطق عن الشيخ : صالح محمد شرف.

– أخذ تاريخ التشريع الإسلامى عن الشيخ : أنيس عبادة.

– أخذ التفسير عن كل من الشيخ : خميس محمد هيبة، والشيخ : كامل محمد حسن.

– أخذ الحديث وعلومه عن الشيخ : محمود عبد الغفار.

– أخذ دراسة الكتب الإسلامية عن الشيخ : محمد الغزالى.

– أخذ النحو والصرف عن كل من الشيخ : خميس محمد هيبة، والشيخ : محمود حبلص، والشيخ : محمود مكّاوى.

– أخذ علوم البلاغة عن كل من الشيخ : محمود دعبيس، والشيخ : محمد بحيرى.

– أخذ فقه اللغة عن الدكتور حسن ظاظا.

– أخذ أصول اللغة عن الدكتور حسن السيد عون.

– أخذ مناهج البحث العلمى عن الدكتور عبد المجيد عابدين.

– أشرف عليه فى رسالة الماجستير الدكتور أحمد مكى الأنصارى.

– أشرف عليه فى رسالة الدكتوراه الدكتور عبد المجيد عابدين، أكرمه الله.

المؤلف

- ولد بقرية الروضة، مركز فاقوس، محافظة الشرقية بمصر، سنة ١٩٢٩ ميلادية.
- حفظ القرآن الكريم، وجوّده فى بداية حياته.
- التحق بالأزهر الشريف بالقاهرة، ودرس: العلوم الشرعية، والإسلامية، والعربية، والقراءات القرآنية المتواترة: السبع والعشر، والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم مثل: رسم القرآن، وضبط القرآن، وعدّ آى القرآن.
- **حصل على:** التخصص فى القراءات، وعلوم القرآن، والليسانس فى الدراسات الإسلامية والعربية، والماجستير فى الآداب العربية، والدكتوراه فى الآداب العربية.

النشاط العلمى العملى:

أولا: عيّن مدرسًا بالأزهر عام ١٩٥٢م، وقام بتدريس: تجويد القرآن الكريم، القراءات القرآنية، وتوجيهها، الفقه الإسلامى: العبادات، تاريخ التشريع الإسلامى، تفسير القرآن الكريم، علوم القرآن الكريم، طبقات المفسرين، ومناهجهم، النحو العربى، تصريف الأسماء والأفعال، البلاغة العربية.

ثانيًا: عين عضوًا بلجنة تصحيح المصاحف بالأزهر سنة ١٩٥٦م.

ثالثًا: عين عضوًا ضمن اللجنة العلمية التى تشرف على تسجيل القرآن الكريم بالإذاعة المصرية سنة ١٩٦٥م.

رابعًا: ناقش وأشرف على أكثر من مائة رسالة علمية (ماجستير، ودكتوراه).

خامسًا: شارك فى ترقية عدد من الأساتذة إلى أستاذ مساعد، وأستاذ.

سادسًا: له أحاديث دينية بالإذاعة السودانية تزيد على مائة حديث.

سابعًا: له أحاديث دينية أسبوعية بإذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية تزيد على ألف حديث.

ثامنًا: انتدب للتدريس بالسودان بجامعتى الخرطوم والجامعة الإسلامية بأم درمان، وبالمملكة العربية السعودية بجامعتى الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وأبها، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الإنتاج العلمي:

بعون من الله – تعالى – صنّف أكثر من تسعين كتاباً في جوانب متعددة:

١ – القراءات والتجويد.

٢ – التفسير وعلوم القرآن.

٣ – الفقه الإسلامي والعبادات.

٤ – المعاملات.

٥ – الإسلاميات والفتاوى.

٦ – السيرة.

٧ – النحو والصرف.

٨ – اللغويات.

٩ – الغيبيات والمأثورات.

١٠ – الدعوة.

١١ – التراجم.

مذهبه الفقهي : الشافعي .

عقيدته : أهل السنة والجماعة.

منهجه في الحياة : كان منهجه في الحياة التمسك بالكتاب والسنة ما استطاع لذلك سبيلا.

توفي : يوم السبت الموافق: الحادي عشر من صفر ١٤٢٢هـ – الخامس من مايو ٢٠٠١م.

دعاؤه : اللهم إني أسالك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

مصنفات المؤلف

القراءات والتجويد:

١ - إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين.
٢ - الإرشادات الجليّة فى القراءات السبع من طريق الشاطبية «ثلاثة أجزاء».
٣ - الإفصاح عما زادته الدرة على الشاطبية «جزءان».
٤ - التذكرة فى القراءات الثلاث وتوجيهاتها من طريق الدرة «جزءان».
٥ - التبصرة عما زادته الطيبة على الشاطبية والدرة.
٦ - التوضيحات الجلية - شرح المنظومة السخاوية.
٧ - التوضيحات الجلية فى القراءات السبع وتوجيهاتها من طريق الشاطبية.
٨ - الرائد في تجويد القرآن.
٩ - الرسالة البهية فى قراءة أبى عمر الدورى.
١٠ - الفتح الربانى فى علاقة القراءات بالرسم العثمانى.
١١ - القراءات وأثرها فى علوم العربية «جزءان».
١٢ - القول السديد فى الدفاع عن قراءات القرآن المجيد فى ضوء الكتاب والسنّة.
١٣ - الكامل فى القراءات العشر المتواترة من طريقَى الشاطبية والدرة.
١٤ - المبسوط فى القراءات الشاذة «جزءان».
١٥ - المجتبى فى تخريج قراءة أبى عمر الدورى.
١٦ - المختار - شرح الشاطبية فى القراءات السبع مع توجيه القراءات.
١٧ - المستنير فى تخريج القراءات من حيث اللغة، والإعراب، والتفسير «ثلاثة أجزاء».
١٨ - المصباح فى القراءات السبع وتوجيهها من طريق الشاطبية.
١٩ - المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة «ثلاثة أجزاء».
٢٠ - المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر «جزءان».
٢١ - النجوم الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة وتوجيهها من طريقى الشاطبية والدرة.
٢٢ - الهادى - شرح طيبة النشر فى القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها «ثلاثة أجزاء».
٢٣ - الأشباه والنظائر فى توجيه القراءات.
٢٤ - تهذيب إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر..
٢٥ - شرح تحفة الأطفال والجزرية لبيان الأحكام التجويدية.
٢٦ - شرح المنظومة السخاوية فى متشابهات القراءات القرآنية.
٢٧ - شرح طيبة النشر فى القراءات العشر.
٢٨ - فى رحاب القراءات.
٢٩ - مرشد المريد إلى علم التجويد.
٣٠ - القراءات السبع الميسرة.

التفسير وعلوم القرآن :

١ - الهادى إلى تفسير غريب القرآن.
٢ - إعجاز القرآن.
٣ - إعجاز وبلاغة القرآن.
٤ - أعلام حفّاظ القرآن الكريم (سلسلة أحاديث).
٥ - البرهان فى إعجاز وبلاغة القرآن.
٦ - الروايات الصحيحة فى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
٧ - الكشف عن أسرار ترتيب القرآن.
٨ - اللؤلؤ المنثور فى تفسير القرآن بالمأثور «ستة أجزاء».
٩ - تاريخ القرآن.
١٠ - روائع البيان فى إعجاز القرآن.
١١ - طبقات المفسرين ومناهجهم.
١٢ - فتح الرحمن الرحيم فى تفسير القرآن الكريم (أربعة عشر جزءاً).
١٣ - فتح الملك المنان فى علوم القرآن «ثلاثة أجزاء».
١٤ - فتح الرحمن فى أسباب نزول القرآن.
١٥ - فضل قراءة بعض آيات وسور من القرآن مؤيداً بسنة النبى ﷺ.
١٦ - فى رحاب القرآن الكريم «جزءان».
١٧ - فى رياض القرآن (سلسلة أحاديث).
١٨ - معجم حفاظ القرآن الكريم عبر التاريخ «جزءان».
١٩ - معجم علوم القرآن «ثلاثة أجزاء».
٢٠ - من وصايا القرآن الكريم.

فقه وعبادات :

١ - أثر العبادات فى تربية المسلم.
٢ - أحكام الطهارة والصلاة فى ضوء الكتاب والسنّة «جزءان».
٣ - الإرشادات إلى أعمال الطاعات.
٤ - الترغيب فى الأعمال المشروعة فى ضوء الكتاب والسنّة.
٥ - الحج والعمرة وأثرهما فى تربية المسلم وأحكام قصر الصلاة وجمعها فى السفر.
٦ - الحدود فى الإسلام فى ضوء الكتاب والسنّة والكشف عن حكمة التشريع الإسلامى من إقامتها.
٧ - الصلاة فى ضوء الكتاب والسنّة وأثرها فى تربية المسلم.
٨ - الصيام أحكامه وآدابه وفضائله وأثره فى تربية المسلم.
٩ - فقه الكتاب والسنّة.
١٠ - العبادات وأثرها فى تربية المسلم فى ضوء الكتاب والسنّة.
١١ - الفضائل من الأعمال التى تقرب من الله تعالى.
١٢ - المحرمات فى ضوء الكتاب والسنّة.
١٣ - تأملات فى أثر العبادات، وأعمال الطاعات فى تربية المسلمين والمسلمات.
١٤ - أركان الإسلام.

معاملات :

١ - الأسرة السعيدة فى ظل تعاليم الإسلام.
٢ - الحق أحق أن يُتّبع.
٣ - حقوق الإنسان فى الإسلام.
٤ - حكمة التشريع الإسلامى.
٥ - نظام الأسرة فى الإسلام.

تراجـم :

١ - أبو عبيد القاسم بن سلام، حياته وآثاره اللغوية.
٢ - أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى، حياته وآثاره.
٣ - تراجم لبعض علماء القراءات.

إسلاميات وفـتاوى :

١ - أنت تسأل والإسلام يجيب.
٢ - الثقافة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنّة.
٣ - السراج المنير فى الثقافة الإسلامية.
٤ - فى رحاب الإسلام.

سـيرة :

١ - الأنوار الساطعة على دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ، وأخلاقه الكريمة الفاضلة فى ضوء الكتاب والسنّة.
٢ - الخصائص المحمدية والمعجزات النبوية فى ضوء الكتاب والسنّة.

نحو وصرف :

١ - النحو الميسّر.
٢ - تصريف الأفعال والأسماء (فى ضوء أساليب القرآن).
٣ - توضيح النحو.
٤ - معجم قواعد النحو، وحروف المعانى.

اللغـويات :

١ - أحكام الوقف والوصل فى العربية.
٢ - الكشف عن أحكام الوقف والوصل فى العربية.
٣ - المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية «ثلاثة أجزاء».

الغيبيات والمأثورات :

١ - حديث الروح فى ضوء الكتاب والسنّة.
٢ - الأدعية المأثورة عن الهادى البشير ﷺ.
٣ - التبصرة فى أحوال القبور، والدار الآخرة.
٤ - الدعاء المستجاب فى ضوء الكتاب والسنّة.
٥ - موضوعات إسلامية فى ضوء الكتاب والسنّة «جزءان».

الدعــوة :

١ - أحاديث دينية وثقافية فى ضوء الكتاب والسنّة.
٢ - الترغيب والتحذير فى ضوء الكتاب والسنّة.
٣ - الدعوة إلى وجوب التمسك بتعاليم الإسلام.
٤ - ديوان خطب الجمعة وفقا لتعاليم الإسلام.
٥ - سبيل الرشاد فى ضوء الكتاب والسنّة.
٦ - فى رحاب السنّة المطهرة، سراج لكل واعظ ومرشد وخطيب.
٧ - منهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله.
٨ - وصايا ومواعظ فى ضوء الكتاب والسنّة.

التحقيق والتصحيح :

١ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (تحقيق).
٢ - شرح الطيبة لابن الناظم (تحقيق).
٣ - المغنى لابن قدامة (تحقيق).
٤ - حاشية العلامة الصبان على تفسير الجلالين (٤ أجزاء) (تصحيح).
٥ - إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى ﷺ وفضائل أهل بيته الطاهرين (تصحيح).
٦ - درة الناصحين فى الوعظ والإرشاد (تصحيح).
٧ - نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار (تصحيح).

كلمة الناشر

اقرأ الحمد لله الذى أضاء بها الكون، فقال - تعالى - :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ القائل :

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وبعد ...

فإن خير الأعمال وأجلّها عمل يصل الإنسان بربه، فينال به الرضا والغفران، كما قال - عز وجل - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

وانطلاقًا من هذا الوعد كانت «**دار محيسن للطباعة والنشر والتوزيع**» بِرًا بصاحب هذا الاسم - رحمه الله تعالى -.

قال ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ يُنتفع به، وولدٍ صالحٍ يدعو له».

هدفنا
- أن نصل إلى عقل وقلب ووجدان القارئ المسلم.
- أن نساهم فى نشر العلوم الدينية بصورة مشرقة.
- أن نساعد فى إعداد أجيال مسلمة تتفهم حقيقة دينها.
- أن نتابع نشرمؤلفات **الأستاذ الدكتورا محمد سالم محيسن** - رحمه الله -.

وسيلتنا استخدام التقنيات الحديثة فى الطباعة والنشر.



هذه أهدافنا، وهذا طريقنا، والاستمرار والانتشار سيكونان بفضل الله - تعالى - ثم بفضلك أيها القارئ العزيز.